أفضل منهاج

في إثبات الإسراء والمعراج

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة المحقق

الشيخ عبد الله المراغي

مدير قسم المساجد بوزارة الأوقاف

امين عبد الرحمن

صاحب ومدير مجلة الإسلام

مقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى عرج به إلى المقام الأسمى وعلى آله وصحبه أجمعين .

« أما بعد » فقد أظلنا شهر رجب من سنة ١٣٦٧ هـ . فذكرنى بفكرة حول الإسراء والمعراج طالما ترددت في خاطرى كما ذكرني بها كل رجب مضى من بضع سنين . وكم وددت أن تسمحنى الفرصة لأنفاذ هذه الفكرة مبسوطة في رسالة خاصة . . . وشاء الله أن يكون ذلك فانبعث العزم لأخراجها . وفى زحمة العمل . وكثرة الشواغل . أخذت أتلمس الساعة أو الساعتين . لأفرغ لهذا المهم . حتى سهل الله و يسر . ووفق وأعان . ولست أزعم أننى أوفيت عَلَى الكمال فى هذا الموضوع أو قلت فيه الكلمة الأخيرة . وأن كنت أرجو أن أكون قاربت على الغاية . وأشرفت على النهاية . والكمال لله وحده . والمعصوم من عصم الله ؟

رجب سنة ١٣٦٧ هـ

المؤلف

معنى كلمة الاسراء والمعراج

لفظ « الأسراء »

مصدر . وفعله أسرى . فيقال أسرى يُسري إسراءاً . إذا سار ليلاً . هذه لغة أهل الحجاز . وغيرهم يقول « سَرى يَسْري سُرىً » وباللغتين جاء القرآن الكريم .

قال تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً » .

وقال « والليل إذا يسر » .

وقال أبو إسحاق فى قوله تعالى « أسري بعبده » . إن معناه سيَّر عبدَه . وأَسْراه وأَسرى به مثل أخذالخطام وأخذ بالخطام. وإنما قال « ليلاً » مع أن السرى لايكون إلا ليلا . للتأكيد كقولهم سِرْت نهاراً . وقال أبو إسحاق سرى يسرى إذا مضى . وحذفت الياء من يسرى رعاية للفواصل . وقال غيره « والليل إذا يسر » أى سرى فيه كما يقال الليل نائم . أى ينام فيه .

والمقصود : هو الأسراء بالنبي محمد ﷺ من المسجد الحرام بمكة إلى بيت المقدس بالشام .

ولفظ « المعراج »

عَلَم . والمعراج هو السُّلَّم . من العروج وهو الصعود . وقال صاحب

اللسان . عرج في الدرجة والسلم يَعْرُجُ عُرُوجاً أى أرتقى . وعرَج فى الشىء وعليه . يعرج ويعرُج عروجاً أيضاً رَقِىَ . وعرَجَ الشىء فهو عَرِيج ارتفع وعلا . قال أبو ذؤيب .

كانور المصباح للعجم أمرهم بُعَيْد رُقاد النائمين عَرِيج

وفي التنزيل « تعرج الملائكة والروح إليه » أى تصعد وفيه أيضاً من الله ذى المعارج » . قال قتادة ذى الفواضل والنعم . والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج ويجمع على معارج ومعاريج مثل مفتاح يجمع على مفاتح ومفاتيح .

والمقصود « هو عروج النبى محمد ﷺ من بيت المقدس الذى هو المسجد الأقصي إلى السموات إلى سدرة المنتهى إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام » .

فالأسراء والمعراج لفظان يطلق أولهما على سفر الرسول ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . وهو كما ترى سفر أرضى ويطلق ثانيهما على عروج الرسول من المسجد الأقصى الى الملأ الأعلى حيث الكتبة الكرام وهو كما ترى سفر سماوى .

وسنفصل لك فيما سيأتى ماقصد إليه من هذين اللفظين .

زمن الاسراء والمعراج

نحاول فى هذا الفصل أن نجيب عن الأسئلة التى طالما رددها السائلون وهى . هل كان وقت الاسراء والمعراج قبل البعثة المحمدية أو بعدها وهل كان قبل الهجرة أو بعدها ؟ وهل كان الأسراء والمعراج فى ليلة واحدة أو كان الأسراء في ليلة والمعراج فى أخرى ؟ وما هى ليلة الأسراء والمعراج على التعيين ؟ وفى أى شهر هي ؟ وما هو الزمن الذى استغرقه الرسول فى إسرائه ومعراجه ؟ .

أسئلة تتوارد على الخاطر للباحث المدقق . ويوردها المحبون للاستفادة . وأرباب العقول المتطلعة . ولعلى أوفق لأن أضع بين يديك ما يشفى وما يكفى فى هذا الصدد :

هل كانا قبل البعثة ؟ : —

روى عن الحسين بن على بن أبي طالب وأنس بن مالك رضوان الله عنهم أجمعين أن الأسراء والمعراج كانا قبل البعثة وهو بمكة يتعبدو يتحنف ونقل ذلك صاحب الكشاف في تفسيره . كما أورده الفخر الرازى .

وهو قول قد يتكلف له أن الله سبحانه أجرى ذلك لسيدنا محمد ﷺ ليطلعه على ملكوته العظيم ! وقدرته الباهرة . وليدنيه منه . ويقربه إليه . ليكون ذلك إرهاصاً ظاهراً لما سيتفضل به الله عليه وما يخصه به من الشرف العظيم . والأمر الكريم . أمر النبوة التى مصدرها الوحي والألهام وأمر الرسالة التى سيبلغها أهل الأرض عن رب الأرض والسماء .

فالأسراء والمعراج مقدمة لذلك . وأشارة صريحة من الله له قبل

أن يبعث نبياً ورسولا . وليريه من آياته إنه هو السميع البصير . ولكن هذا تكلف ظاهر مهما روج له بما تقدم أو بمثل قوله تعالى : «سبحان الذى أسرى بعبده » . ولو كان بعد البعثة لقال بنبيه أو رسوله .

نعم هذا تكلف يبعد عن الحقيقة بعداً شاسعاً . فأن الحسين بن على وأنس بن مالك . لم يكونا حينئذ شيئاً مذكوراً . وكان كلاهما لم يولد بعد . فأنى لهما بذلك . وما مصدرهما فيه من كتاب أو سنة صحيحة . والذي أراه أن هـذا القول مما وضع ونسب إلى غير أهله . وقول الله سبحانه « أسرى بعبده » لايؤخذ منه أن العبد إسم لا يتلاقى مع النبى والرسول . حتى لايصح أن يطلق على الرسول بعد البعثة . وهاهى الألسنة لا تزال لاهجة بالدعاء والثناء فى الصلاة وغير الصلاة على نبينا محمد عبد الله ورسوله ، على أن إضافة العبد لله إضافة تشريف وتكريم وتبجيل وتعظيم . حتى قال القائل .

وما زادنى شـرفاً وتيهـا ... وكدت بأخمصى أطـأ الثريا
دخولى تحت قولك ياعبادى ... وأن صيرت أحمد لى نبيـاً

ثم إن مما يعكر على هذا الرأى فرضية الصـلاة ليلة المعراج

فهل تفرض عليه الصلاة قبل نبوته ورسالته . لا قائل بذلك . ويرده أيضاً . أن الرسول ﷺ . لما حدث قومه بذلك كذبه أعداؤه ومن فى قلبه مرض ، وأخذوا يغمزون ويلمزون . وقد يكون كافياً فى إبطال هـذا الرأى إبطالاً تاماً ما ثبت من الأحاديث الصحيحة التى

سنوردها فى موضعهـا — إن شـاء الله — وهى ناطقة بمـا يرد ذلك القول و يمنعه .

وأخيراً إذا كان الأسراء والمعراج قبل البعثة . وقد صاحبه جبريل فى هاتين الرحلتين . فمن أي شيء كان فرق الرسـول وخوفه وهو في غار حراء لما جاء جبريل وغطه حتى بلغ منه الجهد . وهو يقول له اقرأ . ومم تذعر ؟ . ومم تزمل ، إنه كان يجهله فوجل منه . وما زال وجله إلا بقول ورقة هذاهو الناموس الذى كان ينزل على موسى وعيسى من قبل . لا أحب أن أذهب أبعد من هذا فى بيان ضعف هذا القول . وانتقل إلى بيان أن الأسراء والمعراج كانا بعد البعثة ؟

هل كانا قبل الهجرة أو بعـــدها ؟ —

ذهب بعض العلماء إلى أن الأسراء والمعراج كانا بعد الهجرة . مستدلا بقول عائشة : « ما فقدت جسد رسول الله ﷺ » وقال إنه كان إسراء بالروح فقط مستنداً أيضاً إلى هذا الحديث . والذى يهمنا هنا إنما هو الرد على القول الأول . فأننا بصدد بيان زمن الأسراء والمعراج وتحديد وقته .

وقد تتبع هذا الحديث الحفاظ وعلماء الرجال وبينوا ما فيه من دخل يسقط الاستدلال به . فسنده منقطع وفيه راو مجهول وقال ابن سريج إنه حديث موضوع . ونحن نقول كما قال الثقاة من المؤرخين إن النبى ﷺ لم يدخل بها إلا بعد الأسراء والمعراج . بل صرح البعض بأنهما

كانا قبل مولدها . والقول بأنهما كانا بعد الهجرة ينافى صريح القرآن الذى يقول « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » فالنص صريح لا تأول فيه . وجاءت الاحاديث الصحيحة بذلك أيضا من أن الملك جاءه وهو في جوار الكعبة أو فى بيت أم هانئ وكل ذلك بمكة . اللهم إلا أن يكون أسرى به من المدينة الى مكة ثم أسرى به من مكة الى بيت المقدس . وهو قول بعيد لم يقل به أحد فيما نعلم . وليس بين أيدينا من المصادر مايدل عليه. رغم مخالفته لظاهر النصوص. وملابسات الأحوال . وحوادث القصتين كما سيتبين لك ذلك واضحا جليا فى موضعه إن شاء الله . ونزيدك هنا بياناً أن سورة الاسراء مكية فكيف يكون الاسراء بعد الهجرة . و إذا خلصنا من هذا كله إلى أن الاسراء والمعراج كانا بعد البعثة وقبل الهجرة . فقد بقى علينا أن نعرف هل كانا فى ليلة واحدة أو كان الاسراء فى ليلة والعروج في أخرى .

يرى بعض العلماء أن الاسراء كان في ليلة ثم كان المعراج فى أخرى مستدلين برواية لحديث جاء في صحيح البخارى ومسلم عن طريق شريك بن أبى نمر عن أنس . و بعد أن ساق فيه ماساقه من الأخبار قال فى حديثه عن النفر الذين جاءوه فى تلك الليلة من الملائكة «حتى أتوه فى ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه » وأورد فى آخره قوله « فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام » .

وقد رد قول هؤلاء بمنع سندهم واسقاط حجتهم . بما يفيد أن الراوى عن أنس قد وهم وغلط وخالف الروايات الصحيحة الأخرى .

ومنشأ الوهم والخلاف ماجاء فى بعض الروايات : فالبخارى ومسلم يذكران مجيء الملك : والبراق . والركوب . والمسير دون ذكر لبيت المقدس . وهـذا يشير الى أن الاسراء والمعراج مختلفان من حيث الليالى خاصة وأن مسلما فى صحيحه ينفرد برواية تجمع بين حوادث الأسراء والمعراج ويبدو منهـا الامر كأنه موضوع واحد . أو رحلة واحدة . أو سفرة واحدة . ومن هنا نشأ الوهم الذي برز في صورة هذا الخلاف فمن قائل إنهما كانا فى ليلة واحدة : ومن قائل غير ذلك :

ووجد القائلون بأن كلا منهما كان فى ليلة مستقلة ما يؤيد قولهم بعض التأييد . وهو أن الاسراء قد جاءت آيته فاتحة لسورة بنى اسرائيل بينما جاءت آيات المعراج فى سورة النجم وذلك إشارة الى تغاير الزمنين وقالوا أيضاً إن آية الأسراء لم تشر إلي المعراج من بعيـد أو قريب كأنه أمر مستقل تمام الإستقلال .

ومجموع هذه الأدلة لا يعين ما أرادوا ، ولا يقطع بحجية فيما ذهبوا اليه ؛ ويمكن أن يقال إن الاسراء عنوان عام يطلق على القصة من بدايتها إلى نهايتها فالمعراج تتمة وخاتمـة غاية الأمر أن الآية أجمال قد فصل فى الموضع الآخر من القرآن ومن الأحاديث .

كما يمكن أن يقال إن العروج إسراء لأنه كان ليلا كما يقـول المخالف

وكما نقول نحن ووردت الآية بذكر الاسراء لفظا . لصدقه أيضا على العروج والراجح عندي ما ذهب اليه الجمهور من أنهما حدثا فى ليلة واحدة أسري به من مكة إلي بيت المقدس . ثم عرج به إلى ما بعد سدرة المنتهي كما يعطيه سياق الحديث ـ في مسلم .

* *

واذا كان الاسراء والمعراج قد حدثا فى ليلة واحدة فما هي تلك الليلة ؟ ومن أي شهر هي ؟ وفي أى حقبة من حقب الزمن التى مرت على الرسول وهو بمكة .

يروى ثقاة المؤرخين أن الأسراء والمعراج كانا بعد هجرة الرسول إلى الطائف . وقد عاد منها يشكو إلى الله ضعفه وهوانه على الناس . عاد إلى مكة التى آذته وطاردته وكان فيها كالمستجيرٌ من الرمضاء بالنار . فكان إسراء الله به إلي المسجد الاقصى ليريه القدرة العظمي . وأن الأمر لو كان أمر بلاد تأوى اليها وأنت عزيز مكرم . وترحل اليها وأنت سعيد قرير العين . لهان وسهل . ولكنه أمر رسالة يجب أن تبلغ . ودعوة يجب أن تذاع . وأن تصل إلى الأسماع . وأن تنتشر فى جميع البقاع . لأنها رسالة التوحيد . ودعوة الايمان الذى سينتشر بسرعة البرق . وسيصل إلى السماء عاليا لأنه الحق .

إذاً كان الاسراء توجيها من الله لرسوله . وتعويضا له عما لحقه من أذى وإعنات من قريش بمكة . ثم من ثقيف بالطائف . ولهذا نرى

الرسـول بعد إسرائه يعود الى سابق أمره . صابرا راضياً . واتخذ من سـعة الأفق الذى أحاط به فى إسرائه ومعراجه . ما لفت نظره إلى وجوب الدعوة على نظام أوسع . وعلى دائرة أكبر .

فأخـذ يعرض نفسه على القبائل عرضاً انتهي ببيعة العقبة . التى جاءت بعد الاسراء والمعراج على التحقيق وتلا بيعـة العقبة بقليل من الزمن هجرته إلى المدينة المنورة ومن هنا يظهر لك جلياً مكان الاسراء والمعراج من أطوار دعوة الرسول الأكرم . سيدنا محمد ﷺ .

واذا تقرر أن الاسراء والمعراج كانا بعـــد البعثة فأنى أسرد هنا اختلاف العلمـــاء فى زمن الاسراء والمعراج ذلك الاختلاف الـكبير والـكثير معاً . فيرى البعض أنهما كانا بعدها بست سنين أو بخمس. أو بعشر سنين وثلاثة أشهر . أو باثنتى عشرة سنة . أقوال. ويحكى الامام ابن حزم الاجماع على القول الأخير . وأنه لأجماع أنت تعلم درجته من القوة بعد ما ذكرت لك من خلاف العلماء وتغاير آرائهم في السنة التى حصـل فيها . كما اختلفت آراؤهم وتباينت أقوالهم في الشهر الذى منه ليلة الاسراء والمعراج ، وفي تعيين هـذه الليـلة ، فالبعض يرى أن الاسراء والمعراج كانا في شهر ربيع الأول ، كما يرى البعض أنهما كانا في شهر ربيع الآخر ، وقيل أنهما كانا فى ليلة من شهر رجب وقيل من رمضان وقيل من شوال ، أما عن الليلة فهي ليلة سبع وعشرين من هذه الشهور وقد جزم الامام النووي في شرح مسلم بأنها ليلة سبع وعشرين

من رجب ، ويرى ذلك أيضا الحافظ المقدسى ، وهذا القول هو المعتمد والمعول عليه في الأقطار الاسلامية اليوم .

واختلف فى اسم الليلة التى أسرى فيها بالرسول ﷺ هل هى ليلة الجمعة ، أو ليلة السبت ، أو ليلة الاثنين ، تضاربت الروايات ، وبكل قيل ، والله أعلم .

بقى أن نتكلم على الزمن الذى استغرقه الرسول ﷺ في إسرائه ومعراجه ، هل كان ليلة بتمامها أو بعض ليلة .

الذي سجله التاريخ أن المشركين أنكروا عليه أن يقطع المسافة التي بينهم و بين المقدس فى ليلة وهم يقطعونها في أربعين ، بل قال المطعم ابن عدي « إن أمرك قبل اليوم كان أمراً يسيرا غير قولك اليوم ، وهو يشهد أنك كاذب ، نحن نضرب أكباد الابل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ، ومنحدرا شهراً ، أتزعم أنك أتيته في ليلة واحدة ؟ واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط » فقول المطعم هذا يشير إلى أنه سمع من الرسول أن الاسراء كان فى ليلة بتمامها ، وأنكره في نفس المجلس الذى أخبرهم فيه النبي ﷺ بأمر الاسراء والمعراج ، ولو أن المطعم سمع منه أن الاسراء والمعراج كان في بعض ليلة لكان انكاره أشد ولسجل ذلك فى كلامه ليكون أبلغ في الرد والاعتراض . والاحتجاج بهذا استدلالا على أن زمنهما كان ليلة بتمامها غير قاطع ولا معين ، فقد يكون الاسراء في بعض ليلة ثم غفل المطعم في حديثه عن تعيين الشىء على

ما هو عليه لشدة الدهش الذى استولى عليهم من غرابة القصة ، ولما فى قلوبهم من مرض وعدم استيقان واطمئنان فمنهم من صفق ، ومنهم من وضع يده على رأسه تعجباً و إنكاراً ، وأما الذين فى قلوبهم إيمان و بين أيديهم الكتاب ، فقد استيقنوا ولم يرتابوا ، وازدادوا إيمانا على إيمانهم فقال أبو بكر « إنى لأصدقه فيما هو أكثر من ذلك: أصدقه فى خبر السماء في غدوة أو روحة » .

و إذا تركنا قول مطعم وغير مطعم إلى قول الله سبحانه فأنا نرى بوضوح أن ذلك كان بقطع من الليل ، وقد تم الأمر فى جزء يسير لا يمكن تحديده على وجه الدقة ، فقول الله تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » يفيد ذلك فان ليلا منصوب على الظرفية ، أى أن الاسراء كان ليلا ، ولكن كل إسراء فهو بليل . فما فائدته بعد قوله « أسرى » ؟ ، الفائدة هى التأكيد و بيان تقليل مدة الاسراء وزمنه ، وعدم استغراقه لجميع الليل لما فى التنكير من الدلالة على معنى التبعيض ، و يؤيده قراءة (من الليل) وهذه القراءة معينة صراحة أن ذلك الأمر حاصل فى جزء من الليلة » ، « ذلك تقدير العزيز العليم » وهو على كل شىء قدير (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون) .

﴿ الاسراء فى القرآن الكريم ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) .

هذه الآية من الكتاب الكريم تعتبر فاتحة سورة الأسراء التى تسمى أيضاً سورة بنى إسرائيل ، لورود ذكر الأمرين فيها ، وهما أمران غريبان عجيبان ، يلفتان النظر ، و يستدعيان التفكير والتأمل ، وهى من السور المكية التى نزلت قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ، إلا قوله تعالى : « و إن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك » إلى قوله تعالى: «واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » فقد نزلت ثمانيتها فى المدينة، وهذا يفاد منه أن حدوث الأسراء ونزول سورة الأسراء من الأمور التى حدثت فى الدور المكى .

وأنى أقف معك وقفات يسيرة قد تطول أحيانا عند كل كلمة من كلمات هذه الآية الشريفة لتتبين من خلال ذلك أمر الأسراء فى القرآن الكريم ، قوله تعالى : « سبحان » يعطى معنى التنزيه عن النقص ، والبراءة من كل مالا يتناسب مع الكمال الأقدس . وسبحان إسم من أسماء الأعلام . فهو علم يطلق على التسبيح الذى هو المصدر فيقال سبح لله يسبح تسبيحا إذا نفى عنه العيوب والنقائص . وذلك لأن للكمال

طريقين ، أحدهما بالإيجاب والآخر بالنفي والسلب ، فأذا وصفت الله بمحامده من الخلق والرزق والرحمة والعلم فقد حمدته وأثنيت عليه بما هو أهله . وأثبت له أوصاف الكمال من جمال وجلال ، وأذا أبعدت عنه الشريك ، ونفيت الولد والوالدة ، والجور والبخل فقد سبحته وبرأته ونزهته . والله عز وجل متصف بكل كمال ، وهو سبحانه وتعالى أيضاً مبرأ من كل عيب أو نقص . وتصدير آية الأسراء بعلم التسبيح إعلام وإعلان من أول الأمر بأن الأسراء إنما هو بقدرة الله التى لا يلحقها نقص أو عجز . وإنما هو بأرادته المطلقة النافذة ، وانما هو بعلمه وحكمته التامة البعيدة عن السفه والعبث ، وإنما هو بأمره النافذ الذى لا مرد له ، ولا تأخير فيه ، وان يعجزه شيء فى الأرض ولا في السماء وهو القوى القدير والرسول صلوات الله عليه ما قال إن ذلك الأسراء من فعله أو بقوته . وإنما قال : « أسرى بي » كما قال ربه « سبحان الذي أسرى بعبده » ومن كان هذا منتهي أمره ، فلا يصح أن ينكر عليه شيء من قوله فهو فعل الله « ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . وأسراء الله نبيه ليس أمر عبثاً حتى يلحقه النقص فى أفعاله تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا ، بل هو عمل له غايته ، وله سببه وعلته ، وفائدته وعائدته مما سنبينه في حينه مفصلا — إن شاء الله — وإذا كان الأسراء لحكمة ففاعله يجب أن ينزه عن العبث ، وأن يبرأ من العيب ، وأن ينفى عنه

كل نقص. « سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين » .

والسبح فى اللغة معناه التباعد ، قال تعالى : « إن لك فى النهار سبحاً طويلا » وهو مناسب لمقامنا هنا ، ومنه سبح فى الماء إذا ذهب فيه وأبعد .

وجاء بمعان أخرى ، كالصلاة ومنه « فلولا أنه كان من المسبحين» أي المصلين ، وكالاستثناء بالمشيئة ومنه « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » أى تقولون إن شاء الله ، وكالبهاء ونور الوجه ومنه في الحديث « لأحرقت سبحات وجهه ما أدركت من شيء » وقد تكلف بعضهم فى رد هذه المعاني إلى المعنى الأول وهو التنزيه والبراءة ، وليس ذلك مقصودنا ، فلننتقل إلي ما نحن بصدده .

قال الفيومى صاحب المصباح المنير (سبحان) يكون بمعنى التعجب والتعظيم لما اشتمل الكلام عليه نحو «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا » إذ فيه معنى التعجب من الفعل الذى خص عبده به . وفيه معنى التعظيم بكمال قدرته . وهو منصوب على المصدر . غير متصرف لجموده .

وقال الرازي صاحب المختار « سبحان » الله . معناه التنزيه لله . وهو منصوب على المصدر كأنه قال . أبرئ الله من السوء براءة .

و بعد هذا نعود إلى قول الله تبارك وتعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا» ، الآية . لنبين النواحى الأخري من موضوعنا هذا . وقد

بينا فى الفصل الأول عند تعرضنا لبيان معنى كلمتى الأسراء والمعارج أن أسرى وسرى لغتان وبهما جاء القرآن الكريم . وبينا موضع ذلك منه . ويقى أن أزيد هنا ما ذكره صاحب لسان العرب من أن السرى سير الليل عامته . وقيل السرى سير الليل كله . والعرب تذكره وتؤنثه . ولم يعرف اللحيانى غير التأنيث . وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى، وقال العلامة أبو السعود « والأسراء السير بالليل خاصة كالسري » . وقال العلامة الألوسى « والأسراء السير بالليل خاصة كالسرى فأسرى وسرى بمعنى وليست همزة أسرى للتعدية كما قال أبو عبيدة . وقال ابن عطية الهمزة للتعدية والمفعول محذوف أى أسرى ملائكته بعبده »

وقال الليث « يقال أسرى لأول الليل . وسرى لآخره . وأما سار فالجمهور على أنه عام لا اختصاص له بليل أو نهار وقيل إنه مختص بالنهار وليس مقلوبا من سرى» . (بعبده) والأجماع على أن المراد بالعبد هنا محمد عليه السلام لما ورد من أبى القاسم سليمان الأنصارى أنه لما وصل صلوات الله عليه إلى الدرجات العالية . والمراتب الرفيعة . أوحى الله تعالى إليه « يامحمد بم أشرفك » ؟ قال يارب بأن تنسبنى إلى نفسك بالعبودية . فأنزل الله فيه « سبحان الذي أسرى بعبده » . أصبت وصدقت يارسول الله . فالعبودية المضافة إلى الله أشرف الأوصاف وأعلى المراتب . دون الوصول إليها بذل المجهود . وأفراغ الجهود . والجود بحرية النفس وهو أسمي غاية الجود . فإذا كان الجود لله فهو

صفقة رابحة . في الدنيا والآخرة . ولهذا قال صلوات الله وسلامه عليه قولوا « عبد الله ورسوله » . وهو مانع من الغلو فيه ﷺ كما وقع للنصارى الذين غالوا في عيسى فعبدوه وألهوه وجعلوه ابن الله فاشركوا وضلوا ضلالا بعيدا . ورحم الله البوصيري حيث يقول :

دع ما أدعته النصارى في نبيهم وأحكم بما شئت مدحا فيه وأحتكم
فان فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

وإنا لنجد أهل الحب يفتخرون بالعبودية لمحبوبهم . ويرون اسم العبد أخف الأسماء على ألسنتهم . وأحبه إلى قلوبهم أنظار إلي أحدهم وهو يقول :

بالله إن سألوك عني قل لهم عبدي وملك يدي وما أعتقته

وأضافة العبد إلى الله بيان لتمحضه وإخلاصه في عبادته وعبوديته لله رب العالمين لا شريك له . والعبد يطلق على الأنسان باعتباره كلا فلا يطلق على الروح وحدها . ومن هنا تمسك القائلون بأن الأسراء كان بالجسد والروح . وسنبسط الكلام في ذلك إن شاء الله بعد حين ،

« ليلا » ظرف للفعل قبله أي أن الله أسرى ملائكته بعبده في ليل ، وهو نكرة منون للتقليل والتبعيض ، وقراءة عبد الله وحذيفة « من الليل » تؤيده ـ أي أن إسراءه وقع في بعض الليل ،

وكان الأسراء ليلا لما جرت به الأحوال من أن الحبيب يسعي إلى

محبوبه في الخفاء ، تحت جنح الظلام ، فالليل نهار المحبين ، والقمر شمس العارفين ، والنجوم منارات السالكين ،

و إذا تركنا هذا الأسلوب الصوفي فى التعليل ، إلى دنيا الناس والحياة الواقعة ، وجدنا أن الليل وقت الإنفراد والإختصاص والأختلاء ومجالسة الأكابر والإختفاء بهم ، ولا يكاد المرء يدعو إلى حضرته ليلا إلا من كان به حفيا ، وعنده أثيرا ، والتاريخ يحدثنا أن الليل كان الزمن الذى أجريت فيه عظائم الأمور ، وأن لله فيه على أوليائه وأصفيائه كرامات ومكرمات ، ثم هو للسفر أسهل وأيسر ويقطع فيه المسافر مسافات شاسعة لا يقطعها المسافر بالنهار إلا فى عسر ومشقة . ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (عليكم بالدلجة فأن الأرض تطوى بالليل)

وقال ابن الجوزى فى ذلك «إن النبي ﷺ سراج والسراج لا يوقد إلا ليلا ، و بدر وكذا مسير البدر فى الظلم »

(من المسجد الحرام) بالرغم من هذا التحديد لنقطة الإبتداء فى الأسراء فقد اختلف المفسرون فى تعيين المكان الذى ابتدأ الرسول منه السرى ، فقال بعضهم هو المسجد الحرام ذاته ، وهذا يدل عليه ظاهر اللفظ وما يتبادر منه لأول وهلة بادئ الرأى ، وقال البعض إن الأسراء ابتدأ من الحجر عند الكعبة ، وهو قريب من القول الأول الملاصقة والمجاورة بين المكانين ، والقائل بهذا يستند إلى قول النبي ﷺ « بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ اتانى

جبريل . .) الحديث ، وفي رواية « بينا أنا فى الحطيم .. »

وقال آخرون أسري به من دار أم هانىء بنت أبى طالب والقائلون بهذا يؤولون لفظ الآية قائلين إن المراد بالمسجد الحرام الحرم كله ، لأحاطته بالمسجد والتباسه به ، وهذا مجاز علاقته المجاورة .

وعن ابن عباس « الحرم كله مسجد » ويدخل فى حدوده تلك الدار ، وهذا الرأى الأخير هو رأى الجمهور ، فقد أخرج النسائى عن ابن عباس وأبو يعلى في مسنده ، والطبرانى فى الكبير من حديث أم هانئ أنه ﷺ كان نائما فى بيتها بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها .

وفى بعض الآثار أيضاً أن أم هانئ قالت « فقدته ﷺ وكان نائما عندى فامتنع منى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش ، وتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ووصل العباس إلى ذى طوى ، وهو ينادى يا محمد ، يا محمد ، فأجابه ﷺ فقال يا ابن أخى أعييت قومك ، أين كنت ؟ قال ذهبت إلى بيت المقدس» قال «من ليلتك؟» قال « نعم » قال «هل أصابك إلا خير » ؟ قال «ما أصابنى إلا خير » .

ويمكننى الجمع بين هذه الروايات والأقوال لأن الرسول كان نائماً في بيت أم هانئ ثم انتقل إلى المسجد الحرام عينه عند الحجر والحطيم ، وظل فى مكانه الأخير بين النائم واليقظان ثم كان إسراؤه وركوبه من باب المسجد الحرام ، حيث ابتدأ الاسراء به ، وهذا ما أراه فقد أخرج

الشيخان والترمذي والنسائي من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال : « قال رسول الله ﷺ بينا أنا فى الحجر وفى رواية في الحطيم بين النائم واليقظان إذ أتانى آت فشق ما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبي فغسله ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يقال له « البراق » فحملت عليه . . . » الحديث وفى بعض الروايات أنه جاءه جبريل وميكائيل عليهما السلام وهو مضطجع فى الحجر بين عمه حمزة وابن عمه جعفر فاحتملته الملائكة عليهم السلام . وجاءوا إلى زمزم فألقوه على ظهره وشق جبريل صدره من ثغرة نحره إلى أسفل بطنه بغير آلة ولا سيلان دم ولا وجود ألم . ثم قال لميكائيل إيتني بطست من ماء زمزم فأتاه به فاستخرج قلبه الشريف وغسله ثلاث مرات ثم أعاده إلى مكانه وملأه إيماناً وحكمة وختم عليه ثم خرج به إلى باب المسجد فاذا بالبراق مسرجا ملجماً فركبه . . . . »

ومن هذا يتبين لك طريق الجمع بين تلك الأقوال كما يتبين صحة ما ارتأيناه . وهو المناسب واللائق . فأن ركوبه البراق وتحركه به يعتبر بدء الأسراء ومكان ذلك باب المسجد كما تظاهرت الروايات وفى العادة أن الانسان إذا انتقل من داره إلى المكان الذى توجد فيه العربات أو القطارات، أو الطائرات، أو دواب السفر. ثم أركبه صديق إحداها ليزور بقية الأصدقاء فى بلد آخر، لا يقال إنه سافر من داره و إنما يقال سافر من مكان ركوبه وكذلك

الحال هنا ، وركوب الرسول دابة الأسراء من باب المسجد أمر تحكم به العادة أيضا ، ويجرى عليه الألف والعرف ، فليس بمألوف أن تدخل الدابة المسجد ولا الحجر ولا الحطيم ، كما أنه ليس بمعتاد أن يعتلى ظهر ، ويبتدأ به سفر من داخل تلك الأماكن المقدسة ، إنه على الأقل بعد انتهاكاً لحرمتها ، وخروجاً على قداستها؛ والقول بذلك في نظرى بعيد عن الصواب ، ولكنه الخلاف الذى كتب له أن يكثر وأن يتكرر فى أجزاء قصة الأسراء والمعراج بنوع خاص كما رأيت وكما سترى — إن شاء الله — حتى ليكاد المطلع لا يجد موقفا من مواقف القصة إلا وفيه خلاف بين الباحثين قديمهم وحديثهم ، وسلفهم وخلفهم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، (و بعد) فقد طال بنا الطواف حول المسجد الحرام ، وقطعنا ماتيسر لنا من أشواط البحث والنظر فلننتقل .

(إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس ببلاد الشام و بينه و بين المسجد الحرام مسيرة أربعين ليلة على ما حدده بعضهم وحدده المطعم ابن عدى بشهر مصعداً أي ذاهباً ، وشهر منحدرا أى آيبا ؛ ولعل الاختلاف راجع الى اختلاف الليالى طولا وقصراً بحسب الفصول ، فليل الشتاء طويل وليل الصيف قصير ، وسمي « بيت المقدس » بالمسجد الأقصى ، لهـــــذا البعد الشاسع بين الحجاز والشام فمعنى الأقصى الأبعد ؛

وقال ابن عطية « يحتمل أن يراد بالأقصى البعيد دون مفاضلة بينه

و بين ما سواه ؟ وهو بعيد فى نفسه للزائرين » ومعنى قول ابن عطية أن « أقصى » أفعل تفضيل على غير بابه ،

وكان الإسراء إلى بيت المقدس دون غيره من الأماكن لما شرفه الله به من زيارات الرسل والأنبياء السابقين له كما جاء فى بعض الآثار ؛ ولإقامة أكثرهم حوله و بهذا الإسراء والمعراج يكون الرسول قد جمع فضلا إلى فضل ، وضم المجد من من أطرافه ، وحصل على ما لم يحصل عليه نبي أورسول قبله من زيادة فى الفضل، وعظم في التكريم ؛ وعلو في الدرجة

ولعل من أنسب الأقوال وأصدق التعليلات أن نهاية الإسراء كانت بيت المقدس لأنه بيت وليت شطره الوجوه فى الصلاة وصلى به الأنبياء قبله ومشوا في رحابه، فالأنسب لخاتم النبيين، وأفضل المرسلين، أن يكون مسراه إليه ، ليتعرف عليه وليتال ما نال الأنبياء قبله من شرف هذه المعرفة « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى » ولماذا نذهب مع القائلين والمعللين كل مذهب وفى نفس الآية الكريمة . ما يعتبر علة صحيحة ، وميزة واضحة صريحة لبيت المقدس جعلته أهلا لأن يكون الإسراء إليه ؛ فقد قال تعالى فى محكم كتابه « الذي باركنا حوله » ، فالمسجد الأقصى في بقعة مباركة ، ونقطة من الأرض طيبة ، وهو مركزها الثابت، وقطب رحاها التى تتنزل على ما يحيط به و يجاوره نعم الله السابغة ،

وأفضاله المتكاثرة، ورحماته المتواترة، ومكان هذا شأنه يجب أن يتسامى في الوصـــول إليـه الركب .

وأن تشد اليه الرحال ، وأن يكون قبلة الزائرين ، ومحط الطالبين لرحمة الله ، وفضل الله ، و بركة الله ، هـذا هو ما أراه ، وهو قبس من كتاب الله .

والبركة هي الزيادة والنماء ، قال الجوهرى — فى صحاحه — ويقال بارك الله لك وفيك وعليك و باركك ، وقد بارك الله حول بيت المقدس ببركات لاتحد، ونعم لا تعد ، سواء أكانت دينية أم دنيوية ، فالصلاة فيه مضاعف ثوابها ، زائد أجرها كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة، وهو جزء من الأرض حرام مقدس، طاهر عامر بآثار الأنبياء ومخلفات الرسل وكرامات الله للأولياء ، تعبد فيه موسى، وساح في حرمه عيسى، وخدمته ابنة عمران « فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسناً » وعند هذا البيت كان يهبط الوحى ، وتنزل الرسالات؛ ويتفضـل الله بالنبوات ، وتكلم الملائكة أهل الأرض من فوق السموات ، مجيبة دعاء الداعين ، وملبية نداء الطالبين (هنا لك دعا ذكريا ربه : قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً و نبياً من الصالحين * »

والصلاة فيه مضاعفة لما أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة عن

ميمونة مولاة رسول الله ﷺ «أنها قالت يانبي الله أفتنا في بيت المقدس قال أرض المحشر والمنشر أتتوه وصلوا فيه فأن صلاة فيه بألف صلاة » وفي رواية لأحمد عن بعض نسائه عليه الصلاة والسلام أنها قالت يارسول الله فأن لم نستطع إحدانا أن تأتيه » قال « إذا لم تستطع أحدا كن أن تأتيه فلتبعث إليه زيتاً يسرج فيه ، فأن من بعث إليه بزيت يسرج فيه كان كمن صلى فيه » وروى بعض هذا الحديث أبو داود ، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لخبر أبي ذر « قلت يارسول الله أى مسجد وضع في الأرض أولا » ؟ قال « المسجد الحرام » قلت « ثم أى» ؟ قال «المسجد الأقصى » قلت «كم بينهما» ؟ قال «أربعون سنة ثم أينما أدركتك الصلاة فصل فأن الفضل فيه » وقد أسسه يعقوب عليه السلام بعد بناء ابراهيم عليه السلام الكعبة كما ذكر في حديث آخر وجدده سليمان أو أتم تجديد أبيه عليهما السلام »

ولنعد إلى الآية الكريمة ، قال تعالى « لنريه من آياتنا » والآية هى العلامة أى لنريه بعض علامتنا الدالة على كمال قدرتنا ، وأراه الله بعض الآيات والعلائم ؛ فى إسرائه لأنها لاتتنا هى ولا تقف عند حد ، ولكن كيف والله يقول « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض » وقد فضل الله رسوله محمداً على النبيين ورفعه درجات ؟ وأجيب عن ذلك بأن بعض الآيات المضافة اليه تعالى أشرف وأعظم من ملكوت السموات والأرض ؛ كما قال تعالى « لقد رأى من آيات

ربه الكبرى » . وقال الخفاجى السؤال غير وارد لأن ما رآه ابراهيم عليه السلام هو ما فيها من الدلائل والحجج وليس ذلك مقاوما لما هنا من الاسراء والمعراج » . وقال الألوسى « لنريه من آياتنا » أى لنرفعه إلى السماء حتى يرى ما يرى من العجائب العظيمة . فقد صح أنه عرج من صخرة بيت المقدس . واجتمع فى كل سماء مع نبى من الأنبياء عليهم السلام فكأنه يرى أن الآية للاسراء والمعراج معا ولكنه يقول أخيراً « ليست الآية نصاً فى المعراج بل هى نص فى الاسراء دونه إذ يجوز حمل بعض الآيات على ما حصل له ﷺ فى الاسراء فقط ، بل قال بعضهم ليس فى القرآن مطلقاً ما هو نص فى ذلك العروج ومن هنا قالوا الاسراء إلى بيت المقدس قطعي ثبت بالكتاب فمن أنكره فهو كافر ، والمعراج ليس كذلك فمن أنكره فليس بكافر بل مبتدع . وكأنه سبحانه لم يصرح به كما صرح بالاسراء رحمة بالقاصرين ـ على ما قيل ـ » : ونقول إن المعراج ثابت بالسنة صراحة على لسان الصادق الذى لا ينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحي ، علمه شديد القوى» ولذلك موضعه الآتى قريباً ـ إن شاء الله ـ وإن كانت الآيات التى وردت فيه يمكن تأويلها إلى الرأى المخالف .

وقوله تعالى « لنريه من آياتنا » بيان لعلة الاسراء وسببه والغاية منه ، فهو متعلق بقوله « أسرى » ، فالاسراء اقتضته الحكمة ، واستلزمته المصلحة ، فليس أمراً عبثا ، وقد رأى الرسول صلوات الله عليه

في إسرائه من الآيات الدالة على قـدرة الله ما يبهر النفوس ، ويدهش العقول ، رأى دابة الـبراق تطوي به الأرض طيا كالبرق الخـاطف تضع حافرها اذا سارت في نهاية امتداد بصرها ، فيـذهب إلي بيت المقدس ويعود إلى مكة ومكان نومه لم يفقد بعد حرارته فـكان ذاك أمارة ظاهرة على وجازة المدة ، وشدة السرعة . ورأي تأييـد الله له وتـكريمه اياه ، وإحاطة الملائـكة بركابه ، كما رأى قوماً يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال ياجبريل من هؤلاء ، فقال هؤلاء المجاهـدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف .

ورأى قوما على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والغنم رباً كلون الضريع والزقوم فقال ياجبريل من هـؤلاء قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم .

ورأى رجلا فى نهر من دم يلقم الحجارة فقال ما هـذا يا جبريل ؟ قال هذ مثل أكل الربا .

رأى من الآيات ما رأى مما سنفصله بعـد في مكانه من الحـديث والقصة حتى دخل مدينة القدس من الباب اليمانى وذهب الى المسجد الأقصى . وليس فى لآية ما يدل صراحة على أنه دخـله ، فان حرف (الى) فى قوله تعالى « سـبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ...) إنما يدل هنا على انتهاء الغاية فمدلول

قوله « الى المسجد الأقصى » أن الرسول صلوات الله عليه وصل إلى حد ذلك المسجد ، فأما دخوله أو عدم دخوله فليس في لفظ الآية مايدل عليه ، وأنما وردت بدخوله الآثار والأحاديث ، وقد جاء في بعضها أنه نزل عن براقه ودخل المسجد فوجد فيه الانبياء والمرسلين ، وصلى بهم إماما بسورة « قل يا أيها الكافرون » و « الاخلاص » وهم سبعة صفوف وليس في الآية ما يدل على أنه رأى ربه ليلة الإسراء فالنص « لنريه من آياتنا » ولا يصدق على ذاته تعالى أنها آية من آياته، فالآية أثر الذات ودلائلها التى تدل عليها ، ولهذا لم يتمسك بها المثبتون لرؤية الله (إنه هو السميع البصير) وفى كون الضمير للغيبة التفات في الخطاب وتنوع فى النسق ليجذب الانتباه ، و يسترعى السمع ، وقد بدئت الآية بضمير الغائب كما ختمت به ليوافق الختام البدء ، وثنى فيها بضمير المتكلم المعظم نفسه « باركنا ، نريه ، آياتنا » ليدل ذلك على أنها بركات عظيمة، وآيات كريمة،فكما يدل الضمير على تعظيم الذات يدل على تعظيم ما أضيف اليها . والضمير فى «انه» وفى «هو السميع البصير » أعاده بعض المفسرين على الله وهو الاظهر والمتبادر. وأغرب بعضهم فجعل الضمير عائداً على الرسول المسرى به صلى الله عليه وسلم . ونقل ذلك أبو البقاء عن قائليه وفسر الجملة بأن الرسول سميع لأقوالنا . بصير بذواتنا . ليس أصم ولا أعمى . حتى ينكر عليه ما رأى وما سمع . فليحذر المعارضون هذه المكابرة فيما أحس بحواسه السليمة القوية وقال الجلبى « إن هذا

القول لا يبعد والمعنى عليه إن عبدى الذى شرفته بهذا التشريف هو المستأهل له فأنه السميع لأوامرى ونواهى . العامل بهما . البصير الذى ينظر بنظرة العبرة فى مخلوقاتى فيعتبر . أو البصير بالآيات التى أريناه إياها « ما زاغ البصر وما طغى » ولا يمتنع إطلاق السميع والبصير على غيره تعالي .

ومع ما فى هذا القول من شىء غير قليل من الوجاهة فأنا نؤثر عليه القول بعود الضمير على الذات الأقدس ، لظهوره ومناسبته للسياق ، وهو أبلغ فى التحذير والتخويف ، إذ لما كان الله سميعاً بصيراً ، فهو لاشك يعلم ما يقولون وما يفعلون ، وهو لأشك معاقبهم على أقوالهم الكاذبة ، وأفعالهم الخاطئة فليمسكوا عن العناد والتكذيب فى أمر الإسراء ، وليقروا بصدقه تاركين الجدل والمراء .

﴿ المعراج فى القران الكريم ﴾

(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

(والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنى فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى . ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى) صدق الله العظيم

هذه الآيات فاتحة سورة «النجم» وهى مكية، ومن الغريب ما حكى عن الحسن من القول بأنها مدنية ، ويقول العلامة الألوسى ولا أرى صحة ذلك عنه أصلا ، فهى مكية ولا خلاف فى ذلك ، كسورة الإسراء السابقة ، وسميت سورة النجم لافتتاح الله فيها بالقسم به حيث قال عز من قائل «والنجم إذا هوى» والنجم جنس يقال على كثيرين، وقيل هو نجم واحد بعينه وهو الثريا وقد أطلق علماً على سبيل الغلبة عليها ، والقول الأول محكى عن الحسن ومعمر بن المثنى ، والثاني عن مجاهد وسفيان ، وقال ابن عباس إنه المقدار النازل من القرآن ، ومعنى

إذا هوي أى إذا نزل من السماء ، وقال جعفر الصادق رضوان الله عنه النجم هو النبي ﷺ وهو به نزوله من السماء ليلة المعراج

والأظهر والمختار هو الرأى الأول وعليه أكثر المحققين ، وأقسم الله تعالى بالنجم لأنه يهتدى به فى الظلماء إلى الطريق الموصل المطلوب « ما ضل صاحبكم وما غوى » والضلال هو العدول عن طريق الحق إلى طريق الباطل ، والمراد بصاحبكم هو النبي ﷺ والغواية والغى الجهل مع اعتقاد فاسد ، فهو أخص من الضلال ، والمعنى أقسم بالنجم عند نزوله وغروبه ماعدل النبي محمد عن طريق الحق والصواب وما أصابه جهل أو اعتنق مبدأ فاسداً ، والضلال ضد الهدي ، والغى ضد الرشد فكأن الله سبحانه يقسم بالنجم الذى يهتدي به السالك فيهيء له ذلك من أمره رشداً ، أن رسوله موصوف بالهدى والرشد ، ومن هذا وصفه يكون محمود السيرة ، ومن اقتدي به اهتدي ، فلا يصح أن يخالف أو يقاوم ، أو يكذب ، أو يعارض

والمخاطبون في قوله « صاحبكم » قريش وجعل صاحباً لهم مع أنهم أعداؤه وخصومه الألداء ، لأنهم يعرفون منه ما يعرف الصاحب من صاحبه ، فهم محيطون علماً بما عليه الرسول من محاسن الأخلاق ومحامد الخصال ، وشريف الفعال ، كما يحيط الصاحب علماً بصفات صاحبه ، سئل أبو جهل عن رأيه فى خلق محمد فقال « والله إن محمداً لصادق . ومارأيت محمدا كذب قط » ولكنه العناد والاصرار على ماهم عليه من

ضلال وغواية ، فأعماهم ذلك ومنعهم من الاهتداء بنجمه ، والسير على سمته وضوئه ، وفى ذلك إقامة للحجة عليهم ، وقطع لمعذرتهم ، و إشارة إلى ســـوء رأيهم ، وقبح أمرهم ، يعرفونه و ينكرونه ، و يصاحبونه ويخاصمونه، و يصادقونه و يكذبونه ، وهو أيضاً «ما ينطق عن الهوى» فلا يصدر نطقه بالقرآن عن شهوة فى نفسه ، أو رغبة عنده حتى يتطرق اليه شك أو ريبة ، وما يتكلم بالحديث عن رأيه الشخصى « إن هو إلا وحى يوحى » فما الكلام الذى يقوله من عند نفسه بل هو من عند الله يوحيه إليه ويلقيه في روعه فيفيض من بيانه ، و يفضى به إلى من أمر بابلاغه ، فليس له من الامر شىء ، إلا التبليغ ، وكل ماجرى به لسانه فمن عند الله تنزيل من عزيز حكيم ، وقد استدل بهذه الآية القائلون بأن الرســول لا يجوز له أن يجتهد ، فان الله سبحانه قد أخبر بأن جميع ماينطق به وحي ، وما كان عن اجتهاد لا يسمي وحياً ، ومن القائلين بذلك أبو على الجبائي المعتزلى ، وأبو هاشم ابنه وهو من المعتزلة أيضا ، ومن المخالفين لهذا القول الامام أحمد وأبو يوسف رحمة الله عليهما ، فإنهما يريان جواز اجتهاده ﷺ ، وقصرا الآية هنا على القرآن الذى انعقد الاجماع على أنه لا اجتهاد للرسـول في لفظه « إن هو إلا وحى يوحي» ، ولـكن الخلاف فى غير القرآن مما ينطق به من أحاديثه، هل ذلك أيضا « إن هو إلا وحى يوحى» فلا اجتهاد له فيه ؟ أو ذلك ليس وحيا يوحى بل هو متروك لاجتهاده وتصرفه ؟ على الاول أبو على

وابنه وعلى الثانى الامام ابن حنبل والشيخ أبو يوسف ، وهما بداهة لايقولان بأن ماينطق به صلوات الله وسلامه عليه مما أدى اليه اجتهاده صادر عن هوي النفس وشهوتها ، وإنما يقولان هو فى وضع يبيح له الاجتهاد بما يتفق والمصلحة العامة والآية جواب عن سؤال مقدر ، كأن قائلا يقول، إذا كان النبي لاينطق عن الهوى فما هذا القرآن الذي جاء وخالف فيه ما عليه قومه ، واستمال به قلوب كثير من الناس وكثرت فيه الأقاويل ؟ ؟

فقيل «إن هو إلا وحى يوحى» اليه من الله عز وجل ولم يكن من عند نفسه ، «علمه شديد القوى» وهو الوحى الأمين ، جبريل عليه السلام أرسله الله تعالى إليه ليعلمه القرآن ، كما قال ابن عباس وقتادة ، وجبريل ملك كريم آتاه الله قوة عظيمة مكنته من أن يحمل قرى قوم لوط على جناحه ويصعد بها إلى أجواز الفضاء ، ويقلبها حتى جعل عاليها سافلها ، وصاح صيحة واحدة على ثمود فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، وكان ينزل من السماء الى الأرض في برهة وجيزة يحمل رسالة ربه إلى أنبيائه ورسله ، ويبدى الخوارق والمعجزات ، وهكذا لم يكن جبريل عليه السلام شديدا في ناحية واحدة من نواحيه ، وإنما كان شديد القوى جميعها ، فأل فيها لاستغراق جميع أفرادها سواء أكانت قوى مادية أم معنوية ، جسدية أم عقلية ، فهو أيضاً «ذو مرة» أى صاحب حصافة فى عقله ، وقوة في رأيه ، واستحكام فيما يدبر ، والعرب تقول لكل قوى

العقل والرأى هو ذو مرة ، وهو مأخوذ من أمررت الحبل إذا أحكمت فتله ، ولهذا قال سعيد بن المسيب ، ذو حكمة لأن كلام الحكماء متين ، وقال ابن عباس ذو شدة فى أمر الله ، وقال الطبري ذو منظر حسن ، والمرة فى قول الرسول ﷺ « لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة » بمعنى القوة ، وقال الرازي فى المختار المرة القوة وشدة العقل ، ورجل مرير أى قوي ذو مرة ، (فاستوى) والاستواء هو اعتدال الشيء في ذاته وهو بمعنى الاستقامة ولزوم الصواب ، ومنه استوى العود إذا اعتدل ، واستوى الزرع إذا نضج ثمرة ، والمعنى المتبادر أن الرسول عليه الصلاة والسلام علمه جبريل وهو على صفات تورث الخوف والرعب فهو شديد القوى الجسدية والعقلية شدة متناسبة متناسقة ، فقواه متعادلة في قوتها ، متساوية فى درجتها ، لا تطغى إحداها على الاخري فلا تزيد هذه بمقدار ما تنقص تلك ، وقيل استوى بمعنى اعتلى وارتفع وهى معطوفة على علم ، ويكون المعنى ارتفع جبريل إلى السماء بعد أن علمه .

والظاهر من اللفظ هو المعنى الأول فاستواء جبريل معناه أنه استقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها ، وهى صورة تورث الرهبة والفزع ولم ير أحد من الأنبياء جبريل على هذه الصورة إلا محمد ﷺ فقد بدا بها للنبى ﷺ عند حراء في بدء النبوة وبدا له على هذه الصورة مرة أخرى ليلة الإسراء والمعراج (وهو بالأفق الأعلى) وذهب كثير من العلماء إلى أن المراد والموصوف في « علمه شديد

القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالأفق الأعلى » إنما هو الله تعالى وقال الفراء والطبرى إن « هو » عطف على الضمير المستتر فى استوى وهو عائد الى النبى ﷺ وفيه العطف على الضمير المستتر المرفوع من غير فصل وهو مذهب الكوفيين ، وقول الفراء والطبرى على سبيل الجواز فهما يجوزان العكس وهو أن الضمير عائد إلى جبريل كما هو رأى البعض، والافق الأعلى هو السماء والمقصود به الجهة العليا المقابلة للناظر ، وأصله الناحية ، وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس أنه هنا مطلع الشمس ، و رأي ابن عباس هذا قريب من قول الحسن الأفق الاعلى أفق المشرق ، والواو للحال فكأن المعنى رأى النبى ﷺ جبريل على صورته الحقيقية والحال أنه فى السماء «ثم دنا » وقرب من النبى ﷺ «فتدلى» وتعلق عليه السلام فى الهواء نازلا من علوه كما تتدلى الدوالى من العنب ودوالى العنب عناقيده تسترسل إلى أسفل متدلية عالقة بأصلها ، وكذلك كان تدلى جبريل عليه السلام من الأفق الأعلى ، وزاده المتدلي دنوا واقترابا من النبى ﷺ (فكان) جبريل على مسافة قريبة منه (قاب قوسين) أى مقدار قوسين ، فالقاب المقدار ، وتوضحه قراءة « قدر قوسين» وكان العرب يقولون ذلك لبيان المسافة القريبة . كما كان ذلك من معاييرهم ومقاييسهم ، فكما تقاس الأبعاد بالذراع والرمح تقاس كذلك بالقوس .

وقيل إن ذلك ليس بياناً للمسافة وقربها، وإنما هو إشارة إلى الاتحاد

والائتلاف فجبريل دنا فتدلى تقرباً إلى الرسول وتحبباً إليه حتي وصل إلى مطلوبه ومرغوبه .

وكان العرب يصفون المتحالفين والمتحابين بأنهما قاب قوسين (أو أدنى) وأو للشك ممن يراهما فيقول شاكا هما قدر قوسين أو أقرب من ذلك لصغر المسافة واقتراب المكانين (فأوحى) جبريل أو الله (إلى عبده) وهو محمد ﷺ عبد الله ورسوله (ما أوحى) جبريل اليه من آيات الله والحكمة الدالة على العقائد والعبادات، ولم يعين الموحى به بل أبهمه للتعظيم والتفخيم كقوله تعالى « فغشيهم من اليم ماغشيهم» وقيل ضمير أوحى الأول والثاني لله تعالى والمراد بالعبد جبريل عليه السلام ، وقد ورد فى القرآن لفظ العبد للأنبياء والرسل قال تعالى «سبحان الذى أسرى بعبده» والمراد سيدنا محمد ﷺ، وقال «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب » وقال « واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدى والأبصار » وقال « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » والمراد سيدنا محمد كما فى قوله « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب » وهذا يؤيد أن يكون المراد من العبد هنا سيدنا محمد ﷺ لاجبريل، وقد بينا في آية الاسراء منزلة العبد من التشريف ، ودرجته من التكريم ، وأنها منزلة لا تليق إلا بالخالصين المخلصين لله رب العالمين (من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما) ، والموحى به وإن كان

مبهماً للتعظيم كما رأينا ولكنه فسر بفرضية الصلوات الخمس وأجرها عنده تعالى وأن الحسنة بعشر أمثالها وغير ذلك مما أكرمه الله تعالى به ليلة الاسراء والمعراج والموحي بذلك هو الله تعالي لرسوله من غير وساطة ملك أو غيره فوعاه الرسول وحفظه ، وعلمه وعرفه « ما كذب الفؤاد مارأى» وفى قراءة «ما كذب» بالتشديد أى ما كذب فؤاد محمد ﷺ شيئاً مما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام وهو بالأفق الأعلى، فقد عرفه بقلبه ، ورآه بعينى بصيرته و بصره ، وقيل ما كذب الفؤاد ما رأى البصر ، بل صدق الخبر الخبر ، فعالم الروح والملكوت يدرك بالقلب أولا ، و بالبصر لأهل المشاهدة والكشف ثانياً ، وهذا ليتحقق من صاحب الوحى ، ويتأكد منه ، ليثق به ، ويتعرف عليه ، ولهذا كان لا يشك الرسول فى أنه هو الوحى الأمين جبريل ، مهما اختلفت أشكاله ، أو تغيرت صوره ، فقد رآه بصورته الحقيقية ، فعرفه حق معرفته ، فلا يشتبه عليه ، ولا يرتاب فيه ، سواء كان فى صورة دحية أو غير دحية ، فعلمه الله مالم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما ، (أفتمارونه علي ما يرى) أتكذبونه فتجادلونه فيما رآه وأبصره ، والمراء هو الجدال وغمط الحق وجحده وانكاره والمماراة المجادلة. قال صاحب المصباح «ويقال ما ريته أيضاً إذا طعنت فى قوله تزييفاً للقول وتصغيراً للقائل ولا يكون المراء الا اعتراضاً بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضاً ، وامترى فى أمره شك والاسم المرية بالكسر » وقال شهاب الدين الألوسى

«واشتقاقه من مرى الناقة إذا مسح ضرعها ليخرج لبنها وتدر به فشبه به الجدال لأن كلا من المتجادلين يطلب الوقوف على ما عند الآخر ليلزمه الحجة ، فكأنه يستخرج دره » وقرأ على كرم الله وجهه وابن عباس وحمزة والكسائى وخلف (أفتمرونه) بفتح التاء وسكون الميم مضارع مريت أي جحدت وأنكرت قال الشاعر :

لئن هجرت أخا صدق ومكرمة لقد مريت أخاً ما كان يمريكا

والآية توبيخ و إنكار للذين يمارون فيما أبصره الرسول من صورة جبريل الحقيقية (ولقد رآه) على نفس الصورة التى خلقه الله عليها (نزلة أخرى) أى مرة ثانية ، والنزلة واحدة النزول والمرة منه ، ولهذا جاءت على صيغة الوحدة وأصلها مصدر نزل ينزل ونقلت من المصدرية إلي الظرفية لشدة اتصالها بالزمن وقال الحوفى أنها باقية على المصدرية منصوبة عليها للحال المقدرة هكذا «ولقد رآه نازلا نزلة أخرى» وذلك ليلة الأسراء والمعراج (عند سدرة المنتهى) والمشهور أنها شجرة نبق عن يمين العرش فى السماء السابعة وثمرها كقلال هجر وأوراقها مثل آذان الفيلة ، وقيل لها سدرة المنتهى لما روى أن اليها ينتهى علم الملائكة ولم يتعدها جبريل عليه السلام قائلا «وما منا إلا له مقام معلوم » .

وقال صاحب الكشاف « إن شجرة المنتهي قائمة في نهاية الجنة وآخرها »، وقال غيره « كونها سدرة على سبيل المجاز لأنها تجتمع عندها الملائكة كما يجتمع الناس فى ظل السدرة على هذه الارض » ولا مانع

عندى من إطلاق السدرة عليهـا كما أطلقه الله صراحة بل هو الحق والأظهر ، واستبعد بعضهم أن ينبت فى السماء نبات لاحتياجه إلي المـاء والتربة والهواء والغذاء ، وهذا استبعاد باطل كما ذكر الألوسى وكما ذكر الله حيث قال (عندها جنة المأوى) ، فهـذه السدرة فى بقعة طيبة ، ودائرة خصبة ، بها جنة ذات أشجار وثمار ، وظلال وأزهار ، وهواء وأنهار . يأوى اليها المتقون يوم القيامة . وقال قتادة تأوي اليها أرواح الشهداء وليست بالتى وعد المتقون . وقال غـيره تأوى اليها الملائكة . وقد استدل بهذه الآية من قال إن الجنة في السماء . ولـكن علياً كرم الله وجهه ، وأبا هريرة ، وابن الزبير ، وأبا الدرواء ، وقتاده ، ومحمد بن كعب قرأ جميعهم « جنه المأوى » بهاء الضمير لا بتاء التأنيث . و بفعل المضى لا بالاسم المضاف . وأجازت السيدة عائشة هـذه القراءة . وجنه أى ستره . والمعنى أن عند السدرة ستره الله . بجميل صنعه . وفيض جوده وكرمه . أو ستره المأوى بظلاله و بهائه وأنواره وضيائه . حيث آواه الله إليه . وأدناه من جواره . وعرج به إلى مكان لم يبرح اليه سواه . ولم ير غيره ما رآه . (إذ يغشى السدرة مايغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الـكبرى » و يغشى السدرة أى يغطيها و يسترها. من الغشيان وهو التغطية والستر . والغاشـية ما تغطى وتستر ، وسميت القيامة بالغاشـية لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وهمومها . والجمع الغواشى . وجاء الغشيان بمعنى الاتيان ، فيقـال « هو يغشى المجالس » أى يأتيها ،

والمقام يناسبه الأطلاق الأول ، وأبهم مايغشى السدرة كما أبهم في قوله تعالى « فغشاها ماغشى » وقوله تعالى أيضا « فغشيهم من اليم ماغشيهم » للمعنى نفسه الذى بيناه في أبهام « فأوحي إلى عبده ماوحى » وهو وهو التعظيم والتفخيم ، لتذهب العقول كل مذهب فى تحديده وتقديره فلا تقدر ؛ فكأن الذى غشاها أمر لا تدركه الظنون ، ولا تبلغه الأفهام ، ولا يحيط به نطاق الكلام ولا تسعه العقول والأذهان ؛ وعن الحسن « غشيها نور رب العزة جل شأنه فاستنارت » وروى عن أبى هريرة « يغشاها نور الخلاق سبحانه » : وعن ابن عباس « غشيها رب العزة عز وجل » وعد ذالك من المتشابه الذى لايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم . وقال سلمة « استأذنت الملائكة الرب تبارك وتعالى أن ينظروا إلى النبى ﷺ فأذن لهم : فغشيت الملائكة السدرة لينظروا إليه عليه الصلاة والسلام » وروى ذلك ابن حميد ، وقيل يغشاها رفرف من طير أخضر ؛ إلى غير ذلك من الأقوال والآراء التى حاول بها أصحابها أن يفكوا حصار الأبهام أو يفضوا ختام الأجمال فألقى كل بسهمه ، وأورى كل قدح زندة ، ولكن هيهات هيهات « سبحانك لا علم لنا إلا ماعلمتنا إنك أنت العليم الحكيم » أطلعت رسولك على مكنون علمك ، ومكتوم سرك وخفايا غيبك وأبصرته عجائبك وأريته غرائبك فما مال بصره ولا كل ؛ ولا ضعف ولا مل ؛ ولا اضطرب ولا تحول ؛ وما تجاوز ولا زل .

« ما زاغ البصر وما طغي ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى »
« يقال » ما زاغ البصر أي ما مال ولا تحول ، ويقال « ماطغى » أى ما تجاوز الحد المقدر له ، والمعنى على ذلك ، ما مال بصر رسول الله ﷺ عما رآه ولا تحول عنه إلى غيره وما تجاوزه ولا تعداه ، بل كان ثابتاً في نظرته ، مستقيما فى حالته ، معتدلا فى رؤيته ، وهذا ومبعد للريب ، ناف للشك ، مؤكد لما جاء به ، ومن كان هذا شأنه فهو صادق الحس يجب أن يصدق فيما أخبر أنه رآه ، وأن يوثق بما حدث أنه أبصره .

(لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ، صدرت هذه الآية بلام القسم وحرف التحقيق ، تأكيداً لما ورد فيها من معنى يجب التصديق به ، وتقدير ذلك والله لقد أبصر محمد ﷺ الآيات الكبرى من آيات الله تعالي وعجائب ملكوته العظمى ليلة المعراج ، ومن فى الآية صلة فقد رأى ﷺ الآيات الكبرى جميعها ، وهذا هو المناسب للتكريم والتعظيم على أبلغ وجه وأكمله ، وهو على رأى من يجيز زيادة (من) فى حالة الاثبات والنفى على السواء .

وأما من لا يجيز زيادتها فى الاثبات كما هنا فيرى أن الرسول لم يبصر فى عروجه إلا بعض آيات الله الكبرى ، وقد وردت الأحاديث معينة ما رآه من هذه الآيات ، فقد روى البخارى عن ابن مسعود أنه قال في الآية « رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سد الأفق » ، وروي أيضاً عن ابن زيد « رأى جبريل فى الصورة التى هو بها »

وروى عن الحسن أنه ﷺ رأى ربه عز وجل . وكان رضى الله عنه يحلف الأيمان بالله تعالى على ذلك و يقول « والله لقد رأي محمد ﷺ ربه » و يوافقه مارواه البخاري عن أنس رضى الله عنهما أنه ﷺ جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إليه فيما أوحي خمسين صلاة » وأثبت الرؤية ابن عباس وغيره . وخالفت عائشة فنفت الرؤية . أخرج مسلم عن مسروق قال كنت عند عائشة فقالت (من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية) وشاع عنها ذلك حتى نفت الرؤية مطلقاً وقال أبو ذر رأي به ولكن بقلبه وفؤاده « ما كذب الفؤاد مارأى » الآيات . والصوفية يقولون بالرؤية القلبية والبصرية وقالوا مازاغ البصر وما طغي مما التفت إلى الجنة وزخرفها ولا إلى الجحيم وزفراتها بل كان شاخصاً إلى الحق وما طغى عن الصراط المستقيم . وقال السهر وردى « ما زاغ البصر حيث لم يتخلف عن البصيرة . وما طغي فلم يسبقها ولم يتعد مقامه » وقال التسترى فيها « لم يرجع الرسول إلى شاهد نفسه ولا ولا إلى مشاهدتها . وإنما كان شاهداً لربه تعالى .

والمختار ثبوت الرؤية لتضافر النصوص العقلية والنقلية كما قال الأستاذ الامام محمد عبده في رسالته . وذلك على الاجمال والتفصيل متروك لمن شاهد ورأى . والمحظور هو القول بها على وجه يوجب التشبيه . و يتنافى مع التنزيه « سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

﴿ المعراج فى القرآن الكريم ﴾

(٢)

(لتركبن طبقاً عن طبق فما لهم لايؤمنون)

استدل القائلون بأن المعراج ثابت بالقرآن الكريم ؛ بآيات النجم السابقة؛ معيدين بعض ضمائرها إلى النبى ﷺ حال عروجه على نحو مارأيت كما استدلوا أيضاً بهذه الآية من (سورة الانشقاق)وهى أيضاً مكية

***

وجاءت أفعالها بصيغة المضارعة مبدوءة بلام القسم . فهي تفيد البشرى بالمعراج قبل حصوله . ولكنها بشرى من الله الذى لايخلف وعده ولا تبديل لكلماته فمدلولها واقع لامحالة . وقرىء (لتركبن) بفتح الباء أى لتعلون يامحمد سماء ؛ بعد سماء

ومن القائلين بهذا ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما والطبق يجمع على طباق وقد خلق الله السموات سبعاً طباقاً : بعضها فوق بعض ؛ وركوبها الصعود عليها ، والعروج فيها .

الاسراء والمعراج فى الحديث الشريف

قد جاء في أحاديث رسول الله ﷺ ذكر الأسراء والمعراج بتفصيل جمع أطراف الموضوع ، وما أجملته رواية فصلته رواية أو روايات أخرى ، وقد استفاضت هذه الأحاديث استفاضة كبيرة فى الأمة الإسلامية ، حتى لم يعد أمرها خافياً على باحث أو مطلع ، وقد تناولتها الأجيال من قديم فأسلمتها إلى من يليها رواية وسماعاً ، حتى كادت تبلغ درجة التواتر ، و بعض الروايات التى تناولت الأسراء والمعراج . و بخاصة روايات البخاري ومسلم ، قد استفاضت وتواترت حتى لم يعد لمنكر مطمع . ولا لمتأول مغمز .

وهاهى كتب التاريخ الإسلامى . وكتب الحديث النبوى . التي اعتنى مؤلفوها بحياة النبى ﷺ . قد حفظت الكثير من وقائع هاتين الرحلتين . بل قد استوعبت استيعاباً تاماً ماجرى فيهما . فلم تترك شاردة أو واردة .

وقد روى أحاديث الأسراء والمعراج عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه جمع كبير من صحابته . وفيهم الرجال . ومنهم النساء .

وقد بلغ مجموعهم فى — رأي بعض علماء الحديث — بضعاً وثلاثين . و روى آخرون أن عدة من روى أحاديث الأسراء والمعراج من الصحابة عن رسول الله ﷺ خمسة وأربعون .

وإذا أضفنا إلى ما تقدم من العدد من مسمع ولم يرو — وهذا أمر غير مشكوك فيه عادة — أدركنا فى وضوح مبلغ اليقين والصدق فى هذه الروايات على درجاتها وتفاوتها . وأدركنا أيضاً مقدار الدراية والعلم باستفاضة هذه الأحاديث فى الأمة . وأنها سمعها جمع ونقلها جمع . وكلهم لايؤمن تواطؤهم على الكذب . فالصحابة عدول . وهم كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم . ومن أخذ عنهم من التابعين لامطعن فيهم وتاريخ الرجال شاهد بتوثيقهم . وأنا لا نود الأفاضة فى تفصيل هذا الاجمال . تاركين ذلك إلى مانحن بصدده من إيراد الأحاديث والآثار التى حفلت بذكر الأسراء والمعراج لنتبين من خلالها . الأسراء والمعراج في الحديث الشريف وهو موضوع هذا الفصل .

جاء فى صحيح البخاري حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن نبى الله ﷺ حدثه عن ليلة أسرى قال : « بينما أنا فى الحطيم [1] — وربما قال فى الحجر [2] — مضطجعاً إذ أتاني آت فشق مابين هذه إلى هذه فاستخرج قلبى . ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة أيمانا . فغسل قلبي ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فحملت عليه . فانطلق بى جبريل حتى أتى

(١) الحطيم مابين البيت ومقام ابراهيم وسمي بهذا لأنه حطم عن مساواة البيت . أو تحطم عنده الذنوب .

(٢) الحجر ملاصق للبيت وسمى بهذا الاسم لأنه حجر عليه بجدار قصير .

السماء الدنيا . فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل : قيل ومن معك ؟ قال محمد : قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ؛ ففتح فلما خلصت ، فاذا فيها آدم ، فقال هـذا أبوك آدم ، فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد السـلام ، ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى السماء الثانية . فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه . قال نعم . قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء . ففتح فلما خلصت اذا بيحي وعيسى وهما ابنا خالة . قال هذا يحي وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بى حتى السماء الثالثة فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . . قيل ومن معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليـه . قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يوسف ، قال هـذا يوسف فسلم عليـه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحباً بالأخ الصالح ، ثم صعد بي حتى أتي السماء الرابعـة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ، قال محمد ، قيل أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قيل مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فاذا إدريس قال هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، ثم صعد بى حتى أتي السماء الخامسة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ﷺ ، قيل

وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا هرون . قال هذا هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ، ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح . ثم صعد بي حتى أتي السماء السادسة ، فاستفتح . قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قال مرحبا به فنعم المجيء جاء ؛ فلما خلصت فإذا موسى . قال هذا موسى فسلم عليه ؛ فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى . قيل له ما يبكيك ؟ قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ؛ ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ؛ قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ قيل وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قال مرحبا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك فسلم عليه ، قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ؛ فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت ماهذان ياجبريل ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لي البيت المعمور — زاد الكشميهني يدخله كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودا — ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل . فأخذت اللبن ، فقيل هي الفطرة

التى أنت عليها وأمتك ؛ ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى ؛ فقال «بم أمرت» ؟ قلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم ؛ قال « إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك . وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ؛ فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلي موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشرا ، فرجعت إلي موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشرا ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ، قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم ، وأنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : سألت ربى حتى استحييت .ولكن أرضى وأسلم فلما جاوزت نادانى مناد « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » هامش شرح البخارى لابن حجر ج ٧ من ص ١٤٠ إلى ١٥٤ .

☆ ☆ ☆

وفي صحيح البخارى عن أنس ابن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال (فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم . ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء

حكمة وإيماناً فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدى فعرج بى إلي السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح . قال من هذا ؟ قال جبريل . قال هل معك أحد ؟ قال نعم معى محمد ﷺ فقال أأرسل إليه ؟ قال نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة . إذا نظر قبل يمينه ضحك و إذا نظر قبل يساره بكى . فقال مرحباً بالنبى الصالح والإبن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟ قال آدام وهذه الأسودة عن يمينه وشماله تسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة . والأسودة التى عن شماله أهل النار . فإذا نظر عن يمينه ضحك و إذا نظر قبل شماله بكى . حتى عرج بى إلى السماء الثانية . فقال لخازنها إفتح . فقال له خازنها مثل ماقال الأول . ففتح . قال أنس فذكر أنه وجد فى السموات آدام وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم . غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة . قال أنس فلما مرجبريل بالنبى ﷺ بأدريس قال مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . فقلت من هذا ؟ قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت من هذا ؟ قال هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالأخ الصالح و النبي الصالح . فقلت من هذا ؟ قال هذا عيسى ، ثم مررت بإبراهيم ، فقال مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح ؛ قلت من هذا ؛ قال هذا إبراهيم ﷺ —

ثم عرج بى ، حتى ظهرت لمستوي أسمع فيه صريف الأقلام ففرض الله على أمتى خمسين صـــــلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال مافرض الله لك على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فان أمتك لاتطيق ذلك ، فراجعنى فوضع شطرها فرجعت إلى موسى ،قلت وضع شطرها؛ قال راجع ربك فان أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليـه ، فقال ارجع إلى ربك فان أمتـك لا تطيق ذلك فراجعته ، فقال هن خمس وهن خمسون لايبدل القول لدى ، فرجعت إلي موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربى ثم انطاق بي حتى انتهي إلى سدرة المنتهي ، وغشيها ألوان ماأدرى ما هي . ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك .

هامش فتح الباري لابن حجر (باب كيف فرضت الصـــلاة فى الاسراء) .

و روى الامام مسلم فى صحيحه عن أنس بن مالك أنه ﷺ قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه فركبته فسار بى حتى أتيت بيت المقـدس فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الأنبيـاء ثم دخلت فصليت فيه ركعتـين . ثم خرجت فجاءنى جبريل بأناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، قال جبريل أصبت الفطرة ، قال ثم عرج بى إلى السماء فاستفتح جـبريل ،

قيل من أنت ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه ، ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية ؛ فاستفتح جبريل فقيل من أنت ؟ فقال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قال وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ؛ فاذا أنا بابنى الخالة يحي وعيسى فرحبا بي ودعوا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ؛ فاستفتح جبريل ؛ فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ فقيل وقد أرسل إليه ؟ قال قد أرسل إليه .

ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بى إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ قال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ؛ فقيل وقد بعث إليه ، قال قد بعث إليه ، فإذا أنا بادريس فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل ، فقيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقال وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بهرون فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير ، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال جبريل

فقيل ومن معك ؟ فقال محمد ، فقيل وقد بعث إليه ؟ قال قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة ، و إذا ثمرها كالقلال . فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت ما أحد من خلق الله تعالى يستطيع يصفها من حسنها ، قال فأوحي الله إلى ما أوحى . وفرض على فى كل يوم وليلة خمسين صلاة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى . فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا تطيق ذلك . وأنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم . قال فرجعت إلى ربي فقلت أى ربى ؟ خفف عن أمتى . فحط عنى خمساً . فرجعت إلى موسى . قال ما فعلت ؟ قال قد حط عنى خمساً . قال إن أمتك لا تطيق ذلك . فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . قال فلم أزل أرجع بين ربي و بين موسى و يحط عنى خمساً خمساً حتى قال يا محمد هى خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، بكل صلاة عشر ، فتلك خمسون صلاة . ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا . ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب . فان عملها كتبت له سيئة واحدة . فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته ، فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فان أمتك لا تطيق ذلك . فقلت قد رجعت إلى ربى حتى استحييت » ج ١ ص ٦٦ ، ٦٧ من فتح الباري .

عن أبي هريره رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ (أتى بفرس يجعل كل خطوة معه أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، ثم أتي على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء ، قال ياجبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء الذين تثاقلت رؤسهم عن الصلاة ؛ ثم أتي على قوم على أدبارهم رقاع وعلى أقبالهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام إلى الضريع[1] والزقوم[2] ورضف[3] جهنم ، قال ماهؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء الذين لايؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله ، وما الله بظلام للعبيد) رواه البزار ، والترغيب والترهيب ص٢٦٩ ج١ وفي مسند الحافظ البيهقي والطبراني وأبي يعلى عن أبي هريرة : أنه عليه السلام مر ليلة أسرى به على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ؛ فقال لجبريل ماهذا ؟ قال هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ، ثم أتي على قوم ترضخ (تشدخ) رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هـذا ياجبريل ؛ قال هؤلاء الذين

---

(١) الشوك اليابس (٢) شجر بالجحيم (٣) حجارة محماة .

لايؤدون زكاة أموالهم « وما ظلمهم الله ولـكن أنفسهم يظلمون » .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ، ولحم نيء في قدر ؟ فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث و يدعون النضيج . فقال ماهؤلاء ياجبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تـكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتى امرأة خبيثة . فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتى رجلا خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمـة لايستطيع حملها وهو يزيد عليها . قال ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل من أمتك تـكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها . وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت . لايفـتر عنهم من ذلك شيء . قال ماهذا ياجبريل ؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة الذين يقولون مالا يفعلون .

ثم أتى على جحر صغير يخرج من ثور عظيم . فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع . فقال ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الرجل يتـكلم بالـكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها »

« أقول » هذا تصوير وتمثيل لجمال الفضيلة وحسنها . حتى تنزع النفوس إليها . وترغب فى التمسك بها . وهو أيضاً تمثيل لقبح الرذيلة وسوئها . لتنفر منها النفس وترغب عنها ، فليس ذلك من قبيل الحقيقة و إنما هو من قبيل تصوير المعاني و إبرازها فى أشكال حسية على سبيل

التقريب ، للتنفير أو الترغيب . وهو من وسائل الإيضـــاح فى التربية والتعليم .

وليس هـذا التأويل من اجتهادنا ، وإنما هو قول الرسول ﷺ يقول « لقد مثل لى فرأيت ليلة أسرى بى قوما يزعون » الخ كما جاء فى إحدى الروايات عنه « مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام » (١) وبهذا يندفع ما تذرع به قوم إلى انـكار تلك الأشياء ثم إلى إنـكار الأسراء جملة ، ولنعد إلى ما كنا فيه من بيان الأسراء والمعراج فى الحديث الشريف .

روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس « لما أتى النبى ﷺ المسجد الأقصى قام يصلى فاذا النبيون أجمعون يصلون معه » وفى رواية أخـذ جبريل بيـده ﷺ فقدمه فصلى بهم ركعتين ، ثم قال جبريل يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال لا ، قال كل نبى بعثه الله تعالى فشرع يقول « الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين ، وكافة الناس بشيراً ونذيرا ، وأنزل على القرآن فيه تبيان لـكل شىء ، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى وسطا ، وشرح لي صدري ووضع عنى وزرى ؛ ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحاً خاتما » .

(١) وفى رواية أنه أتى على خشبة لايمر بها ثوب ولا شىء إلا خرقته ، فقال ما هذه ياجبريل ؟ قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعـدون على الطريق فيقطعونه وتلا « ولا تقعدوا بكل صراط توعدون » .

وقال البخارى فى صحيحه « قال أبوهريرة أتى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به بأيليا [1] بقدحين من خمر ولبن فنظر إليهما فأخذ اللبن ؛ قال جبريل الحمد لله الذى هـــداك للفطرة لو أخذت الخمر غوت أمتك » ح ٨ ص ٢٧٣

وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صل الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى ربي عز وجل »

وروى البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالي « وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس » قال « هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلي بيت المقدس» ويخالف ماجاء فى هذا الحديث مارواه البخارى عن مسروق ، (قلت لعائشة رضى الله عنها « يا أمتاه هل رأى محمد صلي الله عليـه وسلم ربه » فقالت « لقد قف شعرى مماقلت أين أنت من ثلاث من حدثـكن فقد كذب : من حدثك أن محمدا صلي الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب » . ومن حدثك أنه يعلم مافي غد فقد كذب ثم قرأت « وما تدرى نفس ماذا تـكسب غـدا » ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت

---

(١) بيت المقدس

« يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » ولكن رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين) .

(أقول) قد سبقت لنا الأجابة عن مثل هذا وفوق ذلك فأن ابن عباس مثبت وعائشة نافية « والمثبت مقدم على النافى » .

وحدث البخارى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما « أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لما كذبنى قريش (حين أسرى بى إلى بيت المقدس) قمت فى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » ج ٧ ص ١٣٨ ، ١٣٩ وما بين القوسين زيادة رواها يعقوب بن ابراهيم .

وروي مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كرباً لم أكرب مثله قط ، فرفعه الله لى أنظر إليه مايسألونى عن شيء إلا أنبأتهم به فآمن من آمن [1] وأنكر من أنكر [2] »

---

(١) كأبي بكر الصديق رضى الله عنه (٢) كأبى جهل والمطعم بن عدي وكثير من الذين ارتدوا

كيف كان الاسراء والمعراج

موضوع هذا الفصل بيان الحال التى كان عليها النبى ﷺ فى وقت الاسراء والعروج . هل كان فى يقظة أو في منام ؟ وهل كان الاسراء والمعراج بالجسد والروح ؟ أو كان بالروح فقط ؟ وفي هذا الفصل نبسط لك أطراف البحث لتلم بهذا الموضوع الذى أثار الجدل قديماً وحديثاً . ولتقف على ما هو الصواب . ذهب الجمهور من المسلمين وعلى رأسهم أهل السنة «الأشاعرة والماتريدية» إلى أن الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح إبان يقظته ﷺ وقد أيد هذا القول الامام الطبرى في تفسيره (ج ١٥ ص ١٣) بكثير من الأدلة واحتج له بكثير من الحجج .وتعصب له . وتعجب من المخالفين .

وقال الواحدى «إنهما كانا فى يقظة .والأخبار الواردة عن شريك وغيره التى تشعر بالخلاف غير صحيحة » .

وقال الامام النووى «ما وقع فى رواية عن شريك جاء فيها قوله . « وهو نائم » وفي أخرى « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان » قد يحتج بها من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك أول وصول الملك إليه ثم كان صحوه بعد ذلك ، وليس فى الحديث ما يدل على كونه ﷺ نائماً في القصة كلها. حتى يلزم منه ماذهب إليه المخالف » .

وقال نجم الدين عمر النسفى صاحب العقائد النفسية «والمعراج لرسول

الله ﷺ في اليقظة بشخصـــه إلى السماء ثم إلى ما شاء الله تعالى من العلى حق » .

وقال شارحه سعد الدين التفتازى في (ص ٤٧٢) حق ثابت بالخبر المشهور حتى إن منكره يكون مبتدعا . وعده صاحب « الجوهرة » من المعجزات المؤيدة لنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه فقال

ومعجزاته كثيرة غرر منها كلام الله معجز البشر

واجزام بمعراج النبى كما رووا وبرئ لعائشة مما رووا

وقال « عبد السلام اللقانى » في شرحه عليها « والكتاب والسنة وإجماع القرن الثاني من الأمة ومن بعدهم على أن الاسراء يقظة بالجسم والروح » وأيده في ذلك العلامة الأمير فى حاشيته (ص ١٠٨) وقال اللقانى « ثم ثبت عروجه إلى السماء يقظة بالجسد والروح كما هو ظاهر الأحاديث المشهورة . ومن السماء إلى الجنة ثم إلى المستوى أو العرش أو طرف العالم بخبر الواحد ، وهو أمر ممكن أخبر به الصادق . وكل ما هو كذلك فهو حق . وحكمه مطابق . ولا يلزم من فرض وقوعه محال » .

واستدل الجمهور على صحة رأيهم هذا بعدة استدلالات أشهرها . أن ظاهر الأحاديث والآيات التي جاءت في الاسراء والمعراج يدل على أنهما كانا بالروح والجسد ولا تخصيص لأمر دون غيره إلا بمخصص .

وأنه لو لم يكن الاسراء والمعراج بالجسد والروح لما صح أن يكون كلاهما دليلا على النبوة ، أو معجزة للبشر عند التحدى فان الانسان فى

منامه يرى أنه قد انتقل إلى أقصى المغرب بينما هو فى المشرق ، وذلك في لحظة يسيرة من الزمن . وهذا كثيرا ما يحصل للنائم عادة . مع أن الاسراء والمعراج معجزة أجراها الله على يدى رسوله ليؤيده بها .

واحتج الجمهور كذلك بقوله تعالى : « سبحان الذى أسرى بعبده » والاجماع على أن المراد بالعبد محمد . والعبد لايقال على الروح وحدها ، وإنما يقال على الانسان باعتباره كائنا مركبا من الجسد والروح ، وقد جاءت تسميته صلى الله عليه وسلم عبداً في آية المعراج أيضا حيث قال تعالى « فأوحي إلى عبده ما أوحى » مما يؤخذ منه أن الاسراء والمعراج كانا على حالة واحدة ، وصفه واحدة ، وكيفية واحدة «أى بالجسم والروح معا » ولو كان بالروح وحدها لقال تعالى « سبحان الذى أسرى بروح عبده » .

ورابع استدلالاتهم قولهم . إن البراق لاتحمل عليه الأرواح وحدها وكذلك المعراج فهو ذو درج تتخطاها الأجساد لا روح الرسول وحدها فلو كان الاسراء والعروج للروح وحدها لما كان هناك حاجة للبراق والمعراج ، أما وقد نصت الأحاديث على أن الاسراء كان فيه الرسول راكبا البراق ، وعلى أن العروج كان فيه يرقى الرسول إلى السماء بالمعراج . فذلك دال دلالة قوية على أن الاسراء كان بالبدن والروح .

وخامس الأدلة : أن الاسراء والمعراج لو كانا بالروح وحدها فى حالة النوم لما كان هناك خلاف ولا معارضة من المشركين ، ولا ارتداد من

المسلمين . ولا تعجب من قريش التى حكمت باستحالته وعدم إمكانه؛ فالبداهة قاضية بأن النائم لاينكر عليه دعوى صعوده السماء فى رؤياء ولا يجحد ذلك إلا مكابر أغفل عقله . فمعارضة قريش ؛ وإنكارها أمر الأسراء والمعراج قاضية بأن الرسول صلوات الله عليه قد أخبرهم بأن ذلك قد تم له فى صحوه لا نومه والرسول صلوات الله وسلامه عليه أخبر قومه بأمر إسرائه وهو على يقين من أنهم سينالونه باللوم والتعنيف والأنكار والمعارضة ، لما في المعجزات من بعد عن المألوف . وخرق لناموس الطبيعة . ولو كان الأسراء رؤيا منامية ماقالت له أم هانى لاتحدث قومك بهذا ولما أخذت بثيابه لتمنعه من الذهاب إليهم خوف إيذائهم له . ولو كان الأمر أمر رؤيا منامية ما خافت عليه أذى .

وآخر ما استدلوا به أن جبريل عليه السلام أتاه . وشق صدره . وأخذه بيده . وأسرى به حتى بيت المقدس . ثم عرج به حتى سمع صريف الأقلام . ورأى من آيات ربه الكبرى فما زاغ البصر وماطغى . وكل ذلك لايكون إلا للجسد في حالة اليقظة والشعور المنتبهة .

وقد خالف فى ذلك البعض فعن الحسن رضي الله عنه أن الأسراء والمعراج كانا في المنام وروى القول بذلك أيضا عن السيدة عائشة ومعاوية ابن أبى سفيان . وحذيفة وقد جاء فى كتاب البحر أن نسبة هذا القول إلى عائشة غير صحيحة . ولعله يشير إلى الحديث المنسوب إليها وهو قولها « ما فقد جسد محمد عليه السلام ليلة المعراج » وقد تعقب هذا الحديث

علماء الجرح والتعديل فتناولوه بالرد والنقد كما ذكرنا من قبل حين بينا انقطاع سلسلته . ووجود المجهولين فيها . وأكدنا وضعه . وأظهرنا أن أم المؤمنين كانت إبان الأسراء صغيرة ولم تكن زوجاً له بعد .

على أن هذا الحديث على فرض صحته قد أوله علماء الكلام بما يتفق و رأى الجمهور ومن ذلك قاله سعد الدين التفتازانى أن معناه « ما فقد جسده عن الروح حالة المعراج بل كان معروحه . إذ كان المعراج للروح والجسد جميعاً ». وقال الامام العصام فى حاشيته « و بعضهم حمل قول عائشة رضى الله عنها على معراج آخر . وجمع بين كلام عائشة وغيره بتجويز تعدد المعراج . وأما ما قاله بعض متأخري أصحاب السير والتاريخ أن كلام عائشة مردود لأنها كانت في زمن المعراج صغيرة ولم تحققه — والحسن كان لم يوجد بعد — ومعاوية كان لم يسلم فلم يعرفه . فليس بشيء ولا ينبغي أن يصغي إليه لأن عائشة رضى الله تعالى عنها مع حرصها في معرفة أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم يبعد كمال البعد أن تقنع بمعرفة أيام صغرها ولا تحققها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك معاوية مع طول عهده فى الاسلام » .

وأجاب الخيالي عن عائشة بمثل هذا فقال « والأولى أن يجاب بأن المعراج كان مكرراً مرة بشخصه ومرة برؤياه ، وقول عائشة رضى الله عنها حكاية عن الثانية » .

وقال عبد الحكيم وهذا الجواب أولي لأنه قد وقع في بعض الروايات

« ما فقد جسد محمد ليلة المعراج عن مشاهدة » : ولا يخفي أن الجواب الذى ذكره سعد الدين لايتم على هذه الرواية . بخلاف هذا الجواب فانه يتم على كلتا الروايتين . فكان أولى . ولأنه ليس على هذا الجواب صرف الحديث عن الظاهر المتبادر إلى الفهم . هذا لكن القول بتعددها من غير نص يدل عليه لا يخلو عن إشكال » .

وعلى هذا القول الجامع سارت طائفة . تذهب إلى تصديق كل من القائلين بأنهما كانا مناماً . والقائلين بأنهما كانا يقظة : ومنهم القاضى أبو بكر الباقلانى من أهل السنة « الأشاعرة » والأمام البغوى من رجال الحديث . وقالوا إن تصحيح الأحاديث فى ذلك يقتضى أن يكون الإسراء والمعراج قد حدثا مرتين : احداهما فى نومه ﷺ فأسرى وعرج بروحه . توطئة وتيسيراً لما تضعف عنه قوى البشر الجسدية . وإلى الأولى (وهى المنامية) الأشارة بقوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » و « ما كذب الفؤاد مارأى » .

ثم أسرى وعرج بروحه مع بدنه بعد ذلك . وإليه الأشارة فى قوله « بعبده » وقوله « ما زاغ البصر وما طغى » وقوله « ثم دنى فتدلى » والضمير لمحمد ﷺ

قال صاحب الكشف (وهذ الرأى هو الحق . وبه يحصل الجمع بين الأخبار) التى وردت فى هذا الصدد . مثل قول عائشة السابق ، وقول معاوية لما سئل عن المعراج فأجاب « كانت رؤيا صالحة » وقوله تعالى

« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك » أي ببصرك : ومنه قول المتنبى :

ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

وقول الآخر : يصف صائداً

وكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر قلباً كان جماً بلابله

وهذا هو الرأي الذى اختاره أكثر المحققين . وحكى المازرى في شرح مسلم قولا جامعاً للقولين السابقين لما بينهما من كبير الخلاف . فقال « كان الأسراء بجسده ﷺ في اليقظة إلى بيت المقدس فكانت رؤية عين . ثم أسري بروحه الشريفة منه إلى ما فوقه فكانت رؤيا قلب . ولذلك شنع الكفار عليه فى قوله ﷺ « أتيت بيت المقدس فى ليلتى هذه » ولم يشنعوا عليه فيما سوى ذلك . ولم يتعجبوا منه لأن الرؤيا ليست محل تعجب » . وهذا القول على وجاهته بعيد عما عليه الأكثرون من المسلمين وهو أن المعراج كالإسراء فى حدوثه بالروح والبدن

ويرى بعض المعاصرين كأبى عبد الله الزنجاني : أن الأسراء إنما هو بالروح وحدها . فهو يقول « والنظر الدقيق يهدى إلى أن الاسراء كان بروحه . لأن العقل والنقل لا يقران بأن الشق من جبريل كان لجسمه الشريف ولا يشك فيه عاقل . ثم هل يقر العلم والعقل إن الإيمان والعلم . والحكمة والحلم واليقين والإسلام مما توضع فى طست ؟ وهل صفة الغل تغسل بالماء ؟ وهل هذه الأمور التى ذكرت فى ابتداء الأسراء إلا شواهد بأنه كان بالروح » . (أنظر دائرة المعارف الاسلامية مادة «اسراء»)

والرد على هذا القول من اليسر بمكان . فالعقل و النقل يقران بأن الشق من جبريل كان لجسمه الشريف .أما عقلا فلأن الشق يقع على الأجسام لاعلى الأرواح . لأن الروح جوهر بسيط مجرد لايقبل الأنقسام لأنه ليس جسما ولا جزءا من جسم به الحياة ولوازمها . كما هو مقرر في العلم الإلهى أو الفلسفة الأولى . وأما نقلا فللاحاديث التى مر بنا ذكرها فقوله « و لا يشك فيه عاقل » غير صحيح اللهم إلا أن يقال . لا يشك فيه عاقل و لكنه يجزم ببطلانه . ألا وقد قال ابن أبى جمرة « والحكمه فى شق صدره مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيماناً وحكمة بغير شق الزيادة فى قوة اليقين .لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية . فكان أشجع الناس حالا ومقالا . و لذلك وصف بقوله تعالى « مازاغ البصر وما طغي » .

ويرد عَلَى قول الأستاذ الزنجانى أيضاً ما أورده أبو البركات أحمد الدردير . إذ قال رضى الله عنه « و استشكل بأن الأيمان والحكمة من الأعراض والمعانى القائمة بمحالها وهى لايملأ بها شيء . ولا تفرغ في شيء وأجيب بأنه جعل في الطست شيء أى جسم يحصل به كمال العلم واليقين و بأن تجسد المعاني جائز كما جاء أن سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها الظلة . وكذلك وزن الأعمال والأقوال وغير ذلك »

وأما أن الغل والغضب يذهبه الماء فذلك مشاهد معروف . ولهذا جاء في بعض الآثار أن الرجل إذا أخذته ثورة الغضب فليتوضأ فذلك

مذهب لغضبه ، لما للماء من تأثير طيب على أعضاء الجسم وأعصابه . فلا يبعد ماجاء فى حديث الاسراء من غسل جبريل لقلب الرسول حتى نزع منه ما كان فيه من أذى .

وبهذا كله يتبين خطل هذا الرأى ومجافاة أسانيده للصواب .

☆ ☆ ☆

ويرى الفيلسوف الشيرازى صدر الدين محمد بن ابراهيم فى كتابه « مفاتيح الغيب » أن مارآه الرسول فى إسرائه ومعراجه إنما هو من قبيل الكشف الروحى وسماه شهوداً روحياً . وأفاض في تفضيل هذا النوع على ما عداه من أنواع الادراك والمعرفة . و صنيع هذا الفيلسوف يعلن أنه من القائلين بأن الاسراء والمعراج كان بالروح دون الجسد

« مفاتيح الغيب . المفتاح الرابع لصدر الدين الشيرازى »

☆ ☆ ☆

ونحن وإن كنا ندرك تماماً تلك الروح الطيبة التى حدت بفيلسوفنا وغيره من فلاسفة الاسلام إلى القول بالأسراء الروحانى وأنكار الجسماني إلا أننا لايسعنا إلا أن نخالفهم في ذلك لما تقدم من الأدلة العقلية والنقلية من الكتاب والسنة فى الفصول السابقة وفي هذا الفصل أيضا .

والذى نراه ونختاره هو أن الاسراء والمعراج كانا يقظة بالجسد والروح فظاهر النصوص تؤيد ذلك والظاهر لا يعدل عنه إلا بدليل يمنع أن يكون مراداً . ولا مانع هناك . كما أنه لا يوجد فى نظرنا ما يوجب

التفرقة بين الأسراء والمعراج حتى يكون الأول بالبدن والروح والثانى بالروح فقط كما قال البعض . فقد كانا فى ليلة واحدة ، كما هو المعتمد والمختار . وقد بدأ المعراج من حيث انتهي الأسراء فهل بقى جسد سيدنا محمد ﷺ ببيت المقدس وصعدت روحه عارجة إلى السموات ثم عادت إليه وهو جسد بلا روح ؟ هذا فى غاية البعد لمن يتأمل الأمر على هذا الوضع .

وإذا أضفنا إلى كونهما فى ليلة واحدة . أن غايتهما وحكمتهما واحدة تبين لنا عدم التفرقة بينهما فى وضوح فقد بين الله غاية الأسراء بقوله « لنريه من آياتنا » و بين غاية العروج بقوله « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

وفى هذا إشارة كافية إلى اتحاد الكيفية ، بعد اتحاد الزمان . واتحاد العلة الغائية . وإن كانت الرحلة الأولى أرضية . والثانية سماوية .

وهذا الرأي الذى اخترته هو ما عليه جمهور السلف الصالح : من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام من رجال الدين . فهو قول أنس بن مالك وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وعبد الله بن عباس وعبدالله ابن مسعود وأبى هريرة وحذيفة وابى حبة البدرى وجابر ؛ من الصحابة

وعليه من التابعين ابن المسيب والنخعى وابن جبير والزهرى وعكرمة ومسروق بن الأجدع .

وعليه من المتكلمين الأمام الأشعرى والأمام الغزالى وغيرهما من المحققين

الرد على الشبه
الواردة على الاسراء والمعراج

(١)

كتب المستشرق « شريك » فصلا عن الأسراء ؛ في دائرة المعارف الاسلامية . (المجلد الثانى ص ١٠٦) جاء فيه ما يأتى « جميع التفاسير المتأخرة تفسر المسجد الأقصي ببيت المقدس وليس هناك سبب ظاهر لهذا التفسير . ويظهر أن هذا التفسير أوحت به سياسة الأمويين التى رمت إلى تعظيم بيت المقدس . على حساب مكة ؛ التى يحكمها حينذاك عبد الله بن الزبير » .

وصدره في ذلك جولد تسيهر .

يوجد من المستشرقين من يكيد الاسلام والمسلمين بتشويه الحقائق الدينية وتلبيس الآراء ؛ وتلفيق الأقوال . ولعل « شريك » وجولد تسيهر من هذا الصنف . وإلا فما هـذا القول الذى ينكره الحق الواضـح . فى الأحاديث الصحيحة الكثيرة التى مرت بك، فقد جاء فيها أن الاسراء ابتدأ من المسجد الحرام وانتهى إلى بيت المقدس ، أو أيليا وهواسم آخر لبيت المقدس، كما في رواية الامام مسلم عن أنس بن مالك . وقد تقدمت، وكما فى رواية الامام البخارى عن أبي هريرة وقدمرت بك أيضا (ج ٨

ص ٢٧٣: من فتح البارى) أو عن جابر بن عبد الله (ج٧ ص١٣٨)

وفى هذه الأحاديث يسمى الرسول — نفسه — المسجد الأقصى بيت المقدس ، فكيف يكون ذلك من الأمور التى ليس لها سبب ظاهر ؟ وكيف يكون المفسرون المتأخرون متأثرين في ذلك بما أوحت به سياسة الأمويين — التى رمت إلي تعظيم بيت المقدس على حساب مكه ؟ لأن بيت المقدس بالشام الذي فيه ملكهم . ومكة يحكمها عبد الله بن الزبير خصمهم — كيف يكون المفسرون متأثرين بذلك ولا يكونون قد أخذوا هذا التفسير من أحاديث الرسول المستفيضة ؟

وأغرب من هذا أن « شريك » يفسر عبارة (المسجد الأقصى) بالسماء مدعياً أن أقدم الروايات قد فسرتها بذلك .

اللهم إنه خلط للفتنة ؛ وخبط في الدين (بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) .

ولو صح مايقوله شريك أو أخذ على ظاهره لكان معناه أن الاسراء إلي بيت المقدس قصة من صنع بنى أمية ؛ وكفى بذلك ضلالا و إضلالا

ولكن ها هو الحق الأبلج يتألق نوره من بين ثنايا حديث رسول الله الأكرم . محمد ﷺ . الذي بعثه الله ليبين للناس ما نزل إليهم . وليفصل لهم ما أجمل من آيات الله والحكمة .

(٢)

وقال شريك أيضا فى (ص ١٠٨) « وتشبه مقابلة النبى لهؤلاء

الأنبياء في بيت المقـدس مقابلة عيسى للانبياء على جبل تابور بالشام وربما نسجت على منوالها » .

ومصدره فى ذلك أيضا جولد تسيهر .

هنا صرح الشر . وبان السرار . وبدا لذى عينين كيف أن هذين المستشرقين ومن على شاكلتهما يرمون الاسلام بماهو منه براء؛ ويتخذون من الزور الذى بدلوا به آيات الله كذبا وبهتـانا ، ما يطعنون به الدين الاسـلامى . ويصورون أن بعض الأحاديث الصحيحة ، ما هي إلا نسج على منوال الأناجيل .

وأبلغ كلمة فى هذا المقام (رمتنى بدائها وانسلت) .

فبدلا من أن يقول شريك وصاحبه : إن قصة تابور ربماتكون قد نسجت على منوال صلاة النبى محمد ﷺ بالأنبياء لما حصل فى الأناجيل من تبديل وتحريف عكس الواضع .

☆ ☆ ☆

ولو سلمنا جـدلا أن قصة عيسى على جبل تابور صحيحة . كـقصة سيدنا محمد في صلاته ببيت المقـدس مع الأنبياء . لما كان فى ذلك ما يدعو إلى الشك والريبة . فكثيراً ما تحدث المواقف المتماثلة مع تغاير أصحابها . ويتكرر ذلك كل يوم في مجري الحياة العادية ألف مرة ومرة .

ولـكنه الـكيد للاسلام . والافتراء عليه بما ليس فيه .

ولو صح ما يقول « شريك » من أن قصة الصلاة بالأنبياء فى بيت

المقدس نسجت على منوال ماجاء في الأناجيل ؛ لـكان معناه أيضاً أن الاسراء قصة لم تحدث وقائعها . وإنما هى من صنع المؤلفين ونسج الـكاتبين (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) .

(٣)

أنـكر بعض الملاحدة ومن لف لفهم . أن يكون الرسول ﷺ قدرأى أربعة أنهار تخرج من أصل سدرة المنتهي؛ وأن من هذه الأربعه النيل والفرات. فإن منابع هذين النهرين فى الأرض معروفة مشاهدة ؛ فالنيل من بحيرات خط الاستواء . والفرات من جبال أرمينية . وأنى قبل أن أرد على هـذا الانكار . أورد قول الرسول ﷺ « ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر . واذا أوراقها مثـل آذان الفيـلة . واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت ماهذان ياجبريل؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات » . البخارى ج ٧ من ص ١٥٠ إلى ١٥١ .

وجاء فى أحاديث أخري رواها مسلم وغيره من علماء الحديث الموثوق بهم ما يؤكد ما ذكـره البخارى فى صحيحه . و إذاً فلا شك في صحـة الحديث ، من حيث الرواية والسند وقول الرسول ﷺ له .

فلا يجوز الانكار بادىء الرأى دون فحص ونظر ، و بقليل من التفكير والروية فيما نحن بصدده ، يمكنك أن تدرك الصواب والصدق فى هذا الحديث .

فما جاء فيه مما يخالف ما تشاهده ، فعلى سبيل التمثيل والتشبيه ، كما يقال فى الأمور الأخرى التى رآها النبى ﷺ ، وهو في طريقه إلى بيت المقدس ، من تمثيل مادي ، وصور مختلفة مجسمة لشتى الأعمال والأخلاق .

ويمكن أن يقال أن الله سبحانه مثل له مركز الدعوة الاسلامية فى جزيرة العرب بأصل سدرة المنتهي ، ومثل له السبيل التى سلكته الدعوة الاسلامية ، واطرد فيه سيرها نحو الفرات والنيل فأروت ظمأ القلوب ، وأحيت موات النفوس شرقا وغربا ، كما يفعل الفرات بحوضه والنيل بواديه ، ثم أخذ الفرات يتفرع ، كما أخذ النيل يتشعب ، حتي عم خيرهما وريهما المشرق والمغرب .

وهكذا انتشار الدعوة الاسلامية ، فكانت فى أول أمرها حجازية المنبت والمنبع ، ثم أخذت طريقها إلى العراق ، وانسابت مع دجلة في سواده وبلاده ، كما أخذت طريقها إلى مصر فتسامت مع النيل بين المدن والقرى ؛ ولم تلبث الدعوة الاسلامية ؛ أن تخطت حدود العراق إلى جدار الصين ، وحدود مصر إلى المحيط الأطلسى ، بسرعة لم يعرف التاريخ لها مثيلا .

أليس هذا تمثيلا مقبولا معقولا ؟وقد مثل لمن؟إنه للرسول محمد ﷺ فى إبان محنته ، وتشوفه إلى انتشار دعوته ، وتشوقه للفتح المبين ، والنصر العزيز .

(٤)

ينكر علمـاء الفلك والجغرافيا أمثال « كوبرنكس » و « جاليلو » ، و « كبلر » أن تكون السماء طبقات متفاوتة بعضها فوق بعض . أوأن لها أبوابا يُفتح وتغلق . و أنها جرم يمكن السير عليه أو الحياة فيه ، وليس هذا القول بجديد بل سبق به « فيثاغورث » الفيلسوف اليونانى الذى عاش قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين . وقد استدل هؤلاء مع من يُلحدون في آيات الله من أبناء الاسلام فأنكروا المعراج . بأن الرصد قد أثبت بأن الكواكب تدور فى فضاء لا مادة به الا هذه الأجرام السيارة أو الثابتة . وأن أكبر العدسات وأقواها لم تسجل بؤرتها جسما ماديا وراء هذه السيارات أو الثوابت . فكيف يكون المعراج حقاً ؟ وهكذا .. كذبوا الله الذى يقول « الذي خلق سبع سموات طباقاً ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح » والذى يقول « إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء »

وصدقوا « غاليلو » وأحجار العدسات . وأبصارهم الكليلة الخاسئة الحسيرة . ونظرياتهم الطبيعية القاصرة ، وصدق الله إذ يقول « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »

وإن دعوى هؤلاء الطبيعيين ، الذين لا يؤمنون إلا بما يحسون ،

لاتسلم لهم إلا ببينة من جنس علومهم المبنية على الحس والشاهدة .

فهل طافوا ونفدوا من أقطار السموات والأرض . وانتهوا إلى نهاية الكون ولم يجدوا الطباق السبع فأنكروا ؟ أم هى دعوي بدون بينة ولا دليل ؛ إلا بينة العجز ودليل القصور . وكلاهما لا يؤدي إلى جزم ويقين . فليقولوا إن كانوا منصفين «إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين» وليتقبلوا كلام رب العالمين . وحديث الصادق الأمين

(٥)

من الناس من أنكر الأسراء والمعراج جملة وتفصيلا لقصوره في فهم معنى الألوهية . وقدرتها المطلقة . فجمدت منه عقليته ، ووقفت عند حد لاتتعداه. وهو أيضاً علامة على قصر النظر والتمسك بالسنن المادية الطبيعية فيقولون كما يقول علماء الطبيعة ، إن امتداد المسافة من الأرض إلى نهاية السموات مقدار عظيم يخرج عن العقل تصوره ، فما هو مقدار السرعة التى بها يتمكن الأنسان من قطع هذه المسافة في فترة وجيزة من الزمن ، والنور الذى هو أسرع الأشياء يقطع هذه المسافه فى أكثر من هذه المدة ؟ .

ويقولون إن جسم الأنسان مملوء بالسوائل وهى مضغوطة ضغطاً جويا على نسب مقدرة تبعاً للجو الطبيعى ، فاذا ماتجاوز الأنسان منطقة الهواء الأرضى سالت هذه السوائل من الجسم وتركته وعاءآ فارغا

ويقولون إن الأنسان لا بقاء له بدون الأكسجين وهو موجود حول

الأرض فاذا فارق الأنسان هذه المنطقة فإنه لا بد هالك ، ويقولون أن لكل كائن حى ، بيئة طبيعية لا يستطيع الحياة فى سواها ، فحيوانات البحر لاتعيش فى البر ، ونبات الصيف لا ينمو فى الشتاء ، وأهل الأرض لا يستطيعون الحياة فوق السماء

إلى غير ذلك من الأقوال المؤدية إلى نتيجة واحدة لانقرهم عليها.

فهي اتباع للمنطق الطبيعى الذى لا يستعان به إلا فى الماديات البحتة ، والاقتصار على هذا المنطق أو تحكيمه فى كل الأمور مدعاة إلى الخطأ ، فالمكون مؤلف من مادةوغير مادة ، والأنسان مركب من هذين العنصرين ، وآثار روحه وظواهر نفسه معروفة معلومة أصبح لها علم خاص هو « علم النفس » يدرس فى جامعات أوربا وفى معاهد مصر ، وتاريخ البشر ملىء بالأمور العجيبة التى لاتستند إلى هذا القانون المادى ، ومن ذلك المعجزات ، وخوارق العادات التى منها الاسراء والمعراج ، وذلك تقدير العزيز الحكيم ، الذى لا يعجزه شى في الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم .

وإذا أنكر الأسراء والمعراج بعض المؤمنين بالعلوم الطبيعية فى القرنين الماضيين ، فلا يصح أن ينكره العلماء المعاصرون ، وقد شاهدوا الذرة الصغيرة وشدتها ، والكهرباء وطاقتها ، والأثيروقوته ، والمغناطيس وسرعته ، فاخترعوا الراديو ، والتلفزيون ، والبرق ، والرادار ، وزورق الأحلام ، وهو قليل من كثير ستراه الأجيال المقبلة في عصور السرعة

والطفرة ، « سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد » . .

يا أيها المؤمنون : إن الذى أسرى بمحمد ﷺ من المسجد الحرام بالحجاز إلى بيت المقدس بالشام ، ثم عرج به إلى ما فوق الطباق السبع ، هوالذى سخر الريح لسليمان عليه السلام « تجرى بأمره رخاء حيث أصاب » وهو الذى أعطى من عنده علم من الكتاب القدرة على نقل عرش « بلقيس من الشام إلى اليمن » قبل ارتداء الطرف .

وهو الذي أنزل جبريل عليه السلام بالوحي من السماء إلى الأرض في لمح البصر .

هو الله الذي أمره بين الكاف والنون ، فاذا قال للشيء كن فيكون « سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ؛ والحمد لله رب العالمين » .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل المرسلين ، وخاتم النبيين ؟

الفهرس

صحيفة

٣ مقدمة . . . . . .
٥ معنى كلمة الأسراء والمعراج . . . . . .
٧ زمن الأسراء والمعراج . . . . . .
١٦ الأسراء فى القرآن الكريم . . . . . .
٣٢ المعراج فى القرآن الكريم (١) . . . . . .
٤٥ » » » » (٢) . . . . . .
٤٦ الأسراء والمعراج فى الحديث الشريف . . . . . .
٦٠ كيف كان الإسراء والمعراج . . . . . .
٧٠ الرد على الشبه الواردة على الإسراء والمعراج . . . . . .